

هل تبحث عن وظيفة؟

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

هل تبحث عن وظيفة؟!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد..

نعم .. أكثر الناس يحرصون على الوظائف .. ويتسابقون إليها ..

فما يعلن عن وظيفة شاغرة إلا ويتسابق إليها الآلاف..

ولكن هناك وظائف شاغرة.. وظائف ربانية.. عرضها الله تعالى على العالمين .. لايوفق إليها إلا من أحب .. قال ﷺ: (إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته.. فسأله رجل من القوم ما: استعمله يارسول الله؟! قال ﷺ يوفقه الله عز وجل إلى العمل الصالح قبل موته ثم يقبضه على ذلك)(*).. ولهذا .. كان الصالحون يتحسرون على فواتها..

وانظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه عن يوم القيامة.. ويخبرهم.. أن من أمته سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب..

فيعجب الصحابة بهذا الفضل العظيم.. ويقفز عكاشة بن محصن رضي الله عنه.. سريعاً.. يبادر الموقف وينتهز الفرصة قبل أن تفوت..

ويقول: (يارسول الله أدع الله أن يجعلني منهم.. قال: (أنت منهم).. ويفوز بها عكاشة.. ثم يغلق الباب.. ويقال لمن بعده: سبقك بها عكاشة.. نعم.. كانوا يعيشون حالة سباق في جميع أبواب الخير..

وأنت حين ترى نفسك لاتهش إلى مسابقة الأخيار في ميدان العمل الصالح.. فحاسب نفسك.. فلعل ذنوبك هي السبب.. وتذكر أولئك.. الذين كرههم الله فلم يستعملهم في خير أبداً.. قال الله عن المنافقين:

﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين.. ﴾

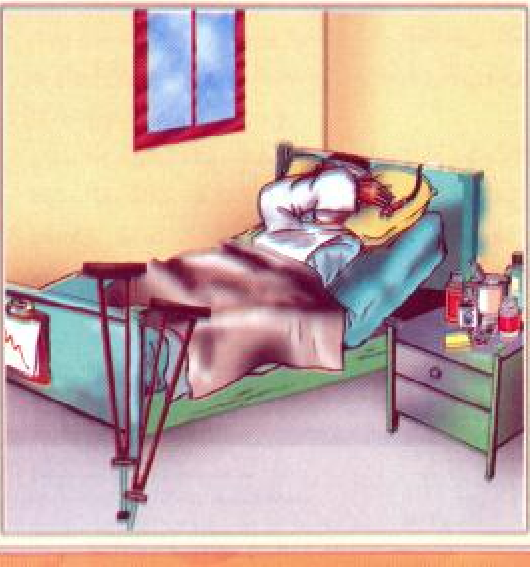
وقد اجتهدت في جمع بعض الوظائف ذات الأجور العظيمة.. ونشرتها في هذه الورقات.. فما كان فيها من صواب فهو من توفيق الله وإحسانه وفضله.. وما كان فيها من خطأ فهو من نفسي والشيطان.. وأنا تائب إلى الله ومستغفر منه.. وقابل للتنبيه والنصح.. وشاكر وداع لمن أشار ونصح..

أسأل الله أن ينفع بها المسلمين والمسلمات .. آمين..

كتبه/ محمد بن عبدالرحمن العريفي
الرياض ٦/٦/١٤٢٢هـ
ص.ب ١٥١٥٩٧ - الرياض ١١٧٧٥
Arefy@hotmail.com

(*) صحيح. رواه الإمام أحمد وغيره.

في مساء ليلة شاتية.. رن جرس الهاتف..
رفعت السماعة فإذا هو عبدالله..
نعم.. عبدالله.. قد تخرج من الكلية في العام الماضي، وانقطعت العلاقة بيننا منذ ذلك الحين..
ما إن سمعت صوته، حتى استعادت ذاكرتي ذاك الوجه البهيّ والجسم الممتلئ شباباً..
- حياك الله ياعبدالله.. مرحباً.. كيف حالك.. ما أخبارك.. ما ..
قاطعني بصوت ضعيف:
- تذكرتني ياشيخ؟
- نعم.. وكيف أنساك
لم يتفاعل مع عباراتي، ولم يبدُ منه تجاوب، لكنه قال بصوت ضعيف: أريدك أن تزورني في البيت.. ضروري.. هاه!.. أنا لا أستطيع زيارتك.. لا تسألني لماذا! إذا جئتني عرفت السبب!
قال هذه العبارات بصوت خافت حزين.. لكنه كان بنبرة جادة.. وصف لي طريق منزله.. طرقت الباب.. فتح لي أخوه الصغير..
- أين عبدالله؟
- عبدالله.. في المجلس.. تفضل..
مشى الصغير أمامي، وفتح باب المجلس، فلما دخلت المجلس دُهشت .. ماذا أرى!! عبدالله على سرير أبيض.. بجانبه عكاز.. وجهاز يُلبس في الرِّجل لأجل المشي.. ومجموعة من الأدوية.. أما هو فجسد ملقى على السرير..
قال لي مُرحِّباً وقد حاول جاهداً أن يقف على قدميه للسلام..
- حياك الله ياشيخ.. حياك الله.. كلفناك وأتعبناك..
- لا .. لم تتعبني في شيء.. عفواً لم أعلم بمرضك من قبل.. ولكن ماذا أصابك؟ ماذا حدث لك؟ ألم تتخرج من الكلية؟ ألم تكن تحدثني أنك سوف تتزوج، وسوف.. وسوف..
- نعم، ولكن حدث مالم يكن في حسباني..



تخرجت من الكلية قبل أشهر معدودة كما تعلم، وأصابني مايصيب الشباب عادة من الزهو والفرح بالتخرج.. وبدأت مشوار الحياة الجديدة.. فتحت كتاب مستقبلي المزهر ورحت استمتع بتقليب صفحاته وأحلم بأيامه السعيدة..

ومضت الأيام السعيدة سريعة.. لايكدر صفوها إلا صداع بسيط كان ينتابني في بعض الأوقات.. ومع مضي الأيام بدأ هذا الصداع يزداد شدة وألماً.. لكن الأدوية المسكنة كانت كفيلة بالقضاء عليه.. ومضت الأيام على هذا الحال وقد تعوّد رأسي على هذا الصداع حتى صرت أنساه في كثير من الأحيان مع شدته وألمه.

لكن شدة هذا الصداع بدأت تزداد وتزداد.. وبدأ يصاحب ذلك ضعف في النظر.. حتى اشتدّ ذلك عليّ في إحدى الليالي.. فذهبت إلى قسم الطوارئ في أحد المستشفيات.. شاكياً مما أصابني من صداع وضعف في النظر.. فلما قابلني الطبيب المختص، عمل لي التحاليل والأشعة اللازمة، ثم قال لي:

- نحتاج إلى إجراء أشعة مقطعية دقيقة لرأسك، وهذا غير متوفر حالياً في المستشفى.. اذهب إلى مستوصف خاص واعمل هذه الأشعة ثم ارجع إليّ بها.. وحاول أن يكون ذلك سريعاً!..

خرجت يتملكني الوجل تارة.. والاستغراب تارة أخرى.. هذا الطبيب! لماذا يتعبني هكذا؟ كان الأحرى أن يعطيني مسكناً للصداع.. أو قطرة للعين.. وينتهي الأمر.. وجعلت أشاور نفسي: هل أهمل الطبيب وأشعته.. واشتري دواء بخمسة ريالات يسكن هذا الصداع واذهب للبيت وأنام؟ أم أعمل الأشعة التي طلبها وأنظر على ماذا ينتهي الأمر.. لكني مع كل هذه الخواطر ذهبت إلى ذلك المستوصف وأجريت الأشعة.. ثم رجعت إلى الطبيب، أحمل بين يديّ أوراقاً لا أفهم شيئاً من رموزها..

- تفضل يادكتور.. هذه هي الأشعة التي طلبت

لبس الطبيب نظارة سميكة على عينيه.. أخذ يقلب الأوراق بين يديه.. تغير وجهه.. وسمعته يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.. ثم رفع بصره إليّ وقال:

- استرح.. اجلس..

- بشر يا دكتور.. خيراً إن شاء الله؟

- خيراً.. إن شاء الله .. خيراً..

وظل صامتاً، لايرفع بصره إليّ! ثم رفع سماعة الهاتف، وبدأ بالاتصال على مجموعة من كبار الأطباء يطلب حضورهم!! ماهي إلا دقائق حتى اجتمع عنده ستة أو سبعة منهم.. بدؤوا جميعاً يقلبون نتائج التحاليل .. يتأملون صور الأشعة.. ويتحدثون باللغة الإنجليزية، ويسارقونني النظر..

مضت قرابة ساعة على هذا الحال.. وأنا في حال لا أحسد عليه..

بدأ يمرّ في عقلي شريط ذكرياتي.. أخذت استعرض سجل حياتي.. بل

مستقبلي.. ترى ما بالهم يتناقشون؟ مابال الطبيب اهتم كل هذا الاهتمام.. ثم رُحت أطمئن نفسي وأقول لها: هؤلاء الأطباء يكبرون المسائل دائماً.. كل منهم يريد أن يستعرض قواه.. تحاليل..! أشعة..! اجتماعات..! والمسألة حلها سهل: حبة أو حبتان من الـ (بندول) مع قطرة للعين، وينتهي كل شيء!! ظللت أنظر إلى الأطباء محاولاً أن أفهم شيئاً مما يقولون، ولكني مع تركيزي الشديد لم أفهم كلمة واحدة بدأت نقاشاتهم تهدأ وتهدأ.. ثم خيم الصمت عليهم..

خرج أحدهم من العيادة وتبعه آخر.. فثالث.. حتى لم يبق إلا اثنان..

قال لي أحدهما:

- اسمع يا عبدالله! أنت أكبر من أن نقول لك أحضر والدك!!

- خير إن شاء الله يا دكتور.. ماذا تقصد؟!

فقال بأسلوب حازم:

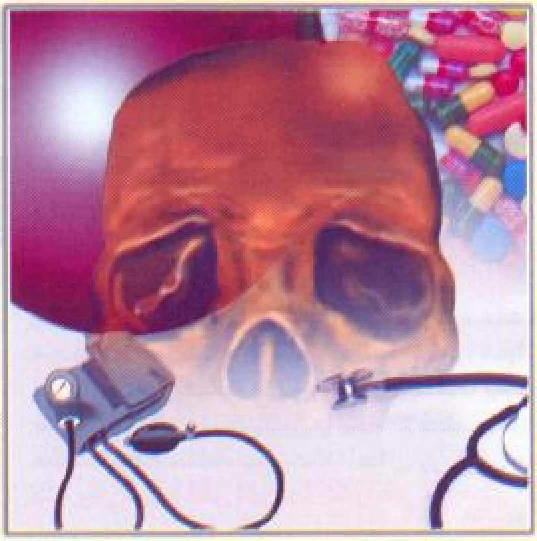
- التقارير والأشعة تدل! على وجود ورم في رأسك، حجمه يزداد بسرعة مخيفة، وهو الآن يضغط على عروق العين من الداخل، وفي أي لحظة يمكن أن يزداد هذا الضغط.. فتنفجر عروق العين من الداخل.. فتصاب بالعمى.. ثم تصاب بنزيف داخلي في الدماغ ثم تموت!!..

ثم سكت الطبيب.. نعم سكت.. لكن كلمته الأخيرة بدأت تتردد في أذني.. تموت.. تموت.. يا للهول.. ما أقسى هذه الكلمة.. ما أشد وقعها على النفس.. أموت.. نعم أموت.. ولكن شبابي.. رواتبي.. وظيفتي.. أمي.. أبي.. أموت!!

صحت بأعلى صوتي..

يا دكتور!!.. ماذا؟.. كيف؟.. متى؟.. ورم؟.. كيف ورم؟.. متى ظهر عندي؟.. ما سببه؟.. وأنا في هذا السن؟.. أعوذ بالله؟ ورم؟.. سرطان؟.. لاحول ولا قوة إلا بالله..

- نعم، ورم.. ولا بدّ من علاجه بسرعة، كل دقيقة.. بل كل ثانية تمرّ.. ليست في صالحك.. الليلة ندخلك المستشفى ونكمل التحليلات اللازمة، وفي الصباح - إن شاء الله - نفتح رأسك ونخرج الورم..



قال الطبيب هذه الكلمات بكل حزم.. وبرود..
قالها وهو يمسح نظارته ويقلب نظره في أوراق بين يديه..
أما أنا فلم أكن استمع إليه بأذني فقط بل أظن أن جسدي كله قد تحول في تلك الساعة إلى أذن تسمع وتعي..
استمرّ الطبيب في كلامه..
- اصبر.. واحتسب.. لست الوحيد الذي تجرى له مثل هذه العملية.. أناس كثيرون أجريت لهم وشفوا بإذن الله.. وأنت شاب مؤمن وعاقل، لا يحتاج مثلك إلى تصبير وتثبيت واصل الطبيب كلماته وهو ينظر إليّ.. أما أنا.. فقد كانت عيناي جاحظتين في عينيه.. نعم كنت أنظر إليه بتركيز شديد..
أما كلامه؛ فقد اختلطت عباراته الأخيرة بعباراته الأولى.. ولم يثبت في ذاكرتي من كلامه إلا: ورم .. سرطان .. عملية..
ماذا لو كتب الله عليّ الموت أثناء العملية؟ .. ماذا ستفعل أمي؟.. أبي الذي جاوز السبعين؟.. إخواني؟ .. أخواتي الصغار؟..
بل كيف سأدخل القبر وحدي؟.. كيف سأمرّ على الصراط؟.. كيف؟ وكيف؟
أين تخطيطاتي.. وشهاداتي.. الزواج.. الوظيفة الجديدة.. كيف يحصل هذا فجأة.. أسئلة كثيرة تتردد في داخلي.. جعلتني أسبح في بحر من الأفكار لا ساحل له..
أخذت أصرخ في داخلي: ياحسرتا على مافرطت في جنب الله.. ياليتني قدمت لحياتي الآخرة..
كل المتع التي كنت أجمعها.. والمراكز التي أسعى لها.. تذهب فجأة.. هكذا بدون مقدمات.. ما أقصر هذه الحياة.. والله ما كنت إلا في غرور..
كيف كنت أتتبع الشهوات.. وأواقع اللذات.. وجهنم قد سعرت.. والأغلال قد نصبت.. والزبانية قد أعدت؟!
تباً لهذه الدنيا.. إن أضحكت قليلاً ابكت كثيراً.. وإن أفرحت أياماً أحزنت أعواماً.. وإن متعت قليلاً أشقت طويلاً..
وأخذت أعاتب نفسي الخاطئة أشدّ المعاتبة..
آه.. ما أطول حزني غداً.. رحماك ياربِّ.. رحماك ياربِّ..
وفجأة .. قال الطبيب:
- هذه أوراق العملية! وقع عليها، حتى نحجز لك سريراً، وننهي إجراءات إدخالك إلى المستشفى!!
بقيت واجماً أنظر إليه. فقال:
- خذ! ما بالك؟.. خذ..
- لا .. لن أوقع على شيء!
- كيف؟ لن توقع!! مجنون أنت؟! المصلحة لك وليست لنا.. والمضرة عليك لا علينا.. لا تظن أننا فارغون نبحث عن رأس نتسلى بإجراء عملية فيه!!.. الأمر هام.. وخطير..

- **لا .. لن أوقع على شيء..**

- عموما لا نستطيع إلزامك.. ولكن وقع على هذه الورقة حتى نخلي مسئوليتنا منك لو حدث لك نزيف مفاجئ.. أخذت الورقة فإذا فيها:

أقرّ أنا الموقع أدناه أني خرجت بطوع إرادتي واختياري من مستشفى.. الخ..

وقعت الورقة وانصرفت..

ولكن أين أذهب؟! إلى البيت وأخبر أمي وأبي؟.. أم أرجع إلى المستشفى؟.. أم أذهب إلى مستشفى آخر.. لاحول ولا قوة إلا بالله..

بعد تفكير سريع قررت أن أذهب إلى مستشفى آخر..

وفي قسم الطوارئ:

- السلام عليكم.. يا دكتور أنا أشكو من صداع في الرأس يصاحبه ضعف في النظر وبعد الكشف السريع وعمل الأشعة اللازمة.. قال الطبيب:

- نحتاج إلى أشعة مقطعية دقيقة لرأسك، وهذا غير متوفر حالياً في المستشفى.. أذهب إلى مستوصف خاص واعمل هذه الأشعة.. ثم ارجع إلي بها.. وحاول أن يكون ذلك سريعاً!

قالها الطبيب ثم سكت..

نزلت إلى السيارة وأخذت أوراق الأشعة ثم صعدت بها إليه..

- عجبا!! كيف جئت بهذه السرعة؟!.. لماذا لم تعمل الأشعة؟!..

- قد عملتها قبل أن آتيك.. وها هي بين يديك..

أخذ الطبيب يفكك رموز هذه الأوراق..

أما أنا فقد جلست على الكرسي لا تكاد تحملني قدماي..

لكني كنت أكثر ثباتاً من المرة الأولى..

ذكرت الله تعالى.. سبحان الله.. والحمد لله.. ولا إله إلا الله.. والله أكبر.. أستغفر الله.. أستغفر الله.. تذكرت وصيته ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس: واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.. هان الأمر علي.. واطمأنت نفسي..



ماذا سيحدث؟! ورم! لست

الأول ولا أظنني الأخير..
أمي.. أبي.. أخوتي.. سيبكون يوماً أو يومين .. ثم ينسون..
فجأة رفع الطبيب سماعة الهاتف واستدعى مجموعة من كبار الأطباء إلى عيادته.. جاءوا.. نظروا في الأوراق.. تحدثوا طويلاً..
كنت أنتظر خبراً مفزعاً.. لكني لم أضطرب كثيراً.. علقت أمري بالله.. بدأت الأوهام تعود إليّ.. لماذا أنا بالذات أصاب بالمرض الخبيث؟ الناس كثيرون..
ثم صرخت بنفسي: أعوذ بالله ولماذا أجزم بذلك! لعل ذاك الطبيب قد أخطأ.. صداع عارض وينتهي الأمر..
طالت فترة الانتظار فالتفت إلى الطبيب.. وسألته:
- هاه .. بشرّ.. ما الخبر؟!
رد بنبرة حازمة: انتظر قليلاً.. اصبر..
ثم تركني في دوامتي ومضى يتلمظ بلغة أعجمية مع زملائه..
لم تمض ساعة حتى انتهوا من نقاشاتهم ثم خرج الأول فالثاني فالثالث..
التفت إليّ الطبيب ثم قال:
اسمع يا عبدالله!..
أنت شاب مؤمن وكل شيء بقضاء الله تعالى وقدره.. التقارير والأشعة تدل! على وجود ورم في رأسك، حجمه يزداد بسرعة مخيفة، وهو الآن يضغط على عروق العين من الداخل وفي أي لحظة قد يزداد هذا الضغط.. فتنفجر عروق العين من الداخل.. فتصاب بالعمى.. ثم تصاب بنزيف داخلي في الدماغ..
ثم تموت!!..
لذا لابدّ أن تدخل الآن إلى المستشفى.. والليلة تدخل غرفة العمليات.. ونزيل جزءاً من عظم الجمجمة ثم نخرج الورم.. وبعد ذلك نعيد العظم مرة أخرى..
ثم سكت الطبيب..
أما أنا فقد كانت الصدمة عليّ أهون من الأولى.. تقبلت الخبر بهدوء تعجب منه الطبيب ثم رفعت سماعة الهاتف واتصلت بوالدي..
جاء والدي..
شيخ كبير تجاوز السبعين من العمر.. أحضره السائق.. فنظره الكليل لا يساعده على القيادة.. كم تعب واجتهد في التربية والعناية.. جزاه الله خيراً..
لما رآني أبي.. فزع من وجوم وجهي واصفرار عيني.. وقال وهو واقف:
ما الذي جاء بك إلى هنا.. ولماذا جئت.. و ..
قلت له: يا أبي .. تعلم أني أشكو من صداع دائم وقد ذهبت إلى مستشفى.. وعملوا لي الفحوصات.. ثم جئت إلى هذا المستشفى.. وبعد الفحوصات أخبروني أن عندي ورم في الرأس ولا بدّ من إجراء عملية عاجلة في الرأس..

سمع أبي هذه الكلمات فكان أقل تحملاً مني.. صاح بي:
ورم.. ورم.. لاحول ولا قوة إلا بالله.. ثم جلس على الأرض.. وهو يردد:
إنا لله وإنا إليه راجعون.. إذاً نرسلك لتعالج مع أخيك في أمريكا.. لاحول ولا قوة إلا بالله.. قال هذه الكلمات وهو يتذكر معاناته منذ سنة كاملة مع أخي الأكبر عبدالرحمن الذي يعالج في أمريكا من مرض السرطان..
كم رأيت أبي يبكي في الهاتف وهو يكلمه..
كم كان يدعو له آخر الليل.. وفي الصلوات.. كان حزن أبي عليه ظاهراً.. خاصة إذا رأى أولاد عبدالرحمن الصغار يسألون عن أبيهم: جدي أين بابا.. لماذا ما عندنا أب مثل بقية الأولاد..
أخذت انظر إلى أبي ودموعه تسيل على خديه.. وهو يرى أولاده يموتون بين يديه.. فأخي خالد توفي في حادث سيارة قبل سنتين.. وأخي عبدالرحمن يصارع الموت في أمريكا.. وأنا في أول طريق لا تعرف نهايته..
التفت أبي إلى الطبيب.. وحاول أن يتجلد وهو يسأله عن خطورة المرض.. لكن عاطفة الأبوة كانت أقوى.. فبدأت الدموع تسيل من عينيه..
قال الطبيب: لاتحزن يا أبا عبدالله.. الأمر سهل إن شاء الله.. اطمئن..
قال أبي: يا دكتور.. نريد أن تعطينا الأوراق والفحوصات الخاصة بعبدالله وسوف يسافر إلى أمريكا.. يعالج هناك مع أخيه..
وافق الطبيب على ذلك.. أخذ أبي الأوراق.. وتمت الحجوزات بسرعة.. وسافرت إلى أمريكا مع أخي عبدالعزيز..
وصلنا إلى المستشفى مساء.. عملوا لي التحليلات والفحوصات اللازمة..
كل شيء تم بسرعة..
وفي الصباح أدخلوني غرفة العمليات.. كم هي غرفة مفزعة.. أجهزة هنا وهناك.. سكاكين ومقصات ومشارط.. كأني في مشرحة.
وجوه واجمة.. وأعين تنظر إليك بتلهف كأنما تريد أن تفترسك..
ايدي الأطباء تألف الدماء.. لا أتصرف في نفسي بل هم يتصرفون في كيفما شاءوا.. حملوني (نعم حملوني حملا) من على السرير المتحرك إلى



سرير العمليات..
بسم الله.. لا إله إلا الله.. ذكرت الله ذكراً كثيراً..
بقيت انتظر بداية العملية.. وأتأمل في وجوه من حولي..
رفعت يدي إلى رأسي أتحسسه.. مسكين يا رأسي!! كيف سيكون حالك بعد قليل.. وقف الممرضون ينتظرون.. يظهر أن الطبيب الذي سيباشر العملية لم يصل بعد.. فجأة فتح باب غرفة العمليات ودخل رجل لا ترى منه إلا عينيه.. صافحني بلطف.. ثم أشار إلى أحدهم فجاء بإبرة كبيرة (إي والله كبيرة) ثم طعن بها فخذي فكان آخر عهدي بالدنيا.. دخلت في غيبوبة تامة.
حلق الطبيب شعر رأسي.. ثم قطع فروة رأسي على هيئة دائرية.. ثم بدأ ينشر عظم الجمجمة.. حتى نزع أعلاها.. ووضع العظم بجانبه.. ولم يكن حجم هذا العظم صغيراً.. كان بحجم الصحن الصغير..
ثم أخرج الورم.. وكان أكبر من البيضة بقليل..
الأمور تسير على مايرام..
وفجأة اضطرب الدم في عروق الدماغ.. ثم توقف الدم في الشرايين وأصابتني جلطة في الدماغ.
فاضطرب الطبيب وحرك - خطئاً - الأعصاب المتصلة بالمخيخ فأصابني شلل نصفي في الجزء الأيسر من جسمي..
فلما رأى الطبيب ذلك أنهى ماتبقى من العملية بسرعة.. وسارع إلى إرجاع عظم الجمجمة إلى مكانه.. وغطى بالجلد فوقه.. وخيط المكان..
ثم حملوني من على سرير العملية والقوني فوق السرير المتحرك.. وساقوني إلى غرفة العناية المركزة التي يسمونها الـ (إن عاش)
مكثت بعد العملية في غيبوبة تامة لمدة خمس ساعات..
وفجأة أصابتني جلطة في الرجل اليسرى.. فحملوني سريعاً إلى غرفة العمليات وفتحوا صدري ووضعوا لي فلتراً صغيراً على أحد شرايين القلب..
ثم أعادوني إلى غرفة الـ (إن عاش) استقرت حالتي أربع ساعات.. ثم أصبت بنزيف شديد في الرئة..!!
حملوني للمرة الثالثة - أو لعلها الرابعة - إلى غرفة العمليات وفتحوا صدري مرة أخرى ونظفوا الرئة من الدم.. وعالجوا النزيف.. ثم أعادوني إلى غرفة الـ (إن عاش).. ضاق الطبيب بأمري ذرعاً.. أمراض متتابعة.. حالة متقلبة.. مفاجآت لا آخر لها.. استقرت حالتي أربع وعشرين ساعة.. أحس الطبيب بشيء من الانتعاش والسرور. وفجأة بدأت درجة حرارة جسدي ترتفع بشكل مخيف..
أجرى الطبيب فحصاً سريعاً عليّ.. فاكتشف بعد الفحص الدقيق أن العظم الذي استخرج الورم من تحته قد أصابه التهاب شديد.. ولا بدّ من إخراجه وتعقيمه.. قبل أن يؤدي إلى تسمم في الدماغ!!

استدعى الطبيب فريق العمليات.. ثم حملوني كالجنازة.. وألقوني على سرير في غرفة العمليات..

بدأت أنظر إليهم.. لا أملك من أمري شيئاً.. وكلت أمري إلى الله. غلبني البكاء فبكيت تمنيت أن أرى أمي وأبي لأقبل أيديهما.. بل والله وألثم أرجلهما.. قبل أن أودع الدنيا.. دعوت الله واستغثت به: **ربِّ إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين**.. ثم رفعت بصري إلى السماء وقلت: **يا أرحم الراحمين**.. إن كانت هذه عقوبة فأسألك المغفرة والرحمة.. وإن كانت بلاءً فارزقني الصبر على البلاء.. وعظم لي الأجر والجزاء.. ثم غلبني البكاء.. فأخذ المرضون يصيحون بي بلغة أعجمية.. لم أفهم مايقولون.. لكني كنت أعلم أنهم يصمتونني.. غالبت نفسي.. وتصبرت..

ذكرت هادم اللذات.. وتفكرت في انحلال الملذات..

طالما سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي..

كلما نصحني الناصحون.. قلت: عن قريب أتوب.. وما تبت..

قد غرتني فيما مضى شبابي.. وجمال سيارتي وثيابي.. ونسيت الاستعداد للحياة الأخرى والله لقد عظمت كربتي.. وذهبت قوتي.. وغداً يصبح التراب فراشي.. ليتني كنت من قوام الليل.. الذين أطار ذكر النار عنهم النوم.. وأطال اشتياقهم إلى الجنان الصوم..

فنحلت أجسادهم.. وتغيرت ألوانهم..

تفكرت في الحشر والمعاد.. وتذكرت حين يقوم الأشهاد..

ويلي.. إن في القيامة لحسرات.. وإن في الحشر لزفرات.. وعلى الصراط عثرات.. وعند الميزان عبرات.. والظلم يومئذ ظلمات.. والكتب تحوي أخفى النظرات.. والحسرة العظمى عند عرض السيئات.. فريق في الجنة يرتقون الدرجات.. وفريق في السعير يهبطون الدركات.. وما بيني وبين هذا إلا أن يقال: فلان مات..

وأخشى أن أصيح: ربّ ارجعوني.. فيقال: العمر.. فات..

عجباً للموتى.. جمعوا



فما أكلوا الذي جمعوا.. وبنوا مساكنهم فما سكنوا.. تباً لهذه الدنيا.. أولها عناء.. وآخرها فناء.. حلالها حساب.. وحرامها عقاب.. تفكرت في حالي.. فإذا عمري محدود.. ونفسي معدود.. وجسمي بعد الممات مع الدود..

آه.. إذا زلت يوم القيامة القدم.. وارتفع البكاء وطال الندم..

ويلي إذا قدمت على من يحاسبني على الصغير والكبير..

يوم تزل بالعصاة الأقدام.. وتكثر الآهات والآلام.. وتنقضي اللذات كأنها أحلام.. ثم بكيت.. نعم.. بكيت وتمنيت البقاء في الدنيا.. لا لأجل التمتع بها.. وإنما لأصلح علاقتي بربي جل جلاله..

وفجأة..

اقبل الطبيب نحوي.. فأدرت أن أسأله عن المرض.. ولماذا هذه المضاعفات.. فلم يلتفت إليّ.. وإنما أمر بتخديري تخديراً عاماً..

فلما غبت عن الدنيا.. سل سكاكينه ومشارطه..

ثم انتزع فروة الرأس التي تغطي العظم.. وأخرج العظم ووضعه جانباً.. ثم أعاد الجلد فوق الدماغ من غير عظم!!..

استغرقت العملية ساعات.. وبعدها حملوني.. وألقوني على سرير في غرفة الـ (**إن عاش**) أفقت من إغمائي.. فإذا الأجهزة تحيط بي من كل جانب.. هذا لقياس التنفس.. وهذا لقياس الضغط.. والثالث لضربات القلب.. والرابع.. والممرضون يحيطون بي من كل جانب..

تعجبت من هذه المناظر.. أين أنا.. بقيت واجماً..

ثم تذكرت أني في أمريكا.. وأني قد كنت في غرفة العمليات..

رفعت يدي وتحسست رأسي فإذا هو ليّن.. أين العظم؟!.. بالأمس كان رأسي مكتملاً.. بكيت.. سألت الطبيب: أين بقية رأسي؟!!

فقال لي بكل برود: عظمك يبقى عندنا لتعقيمه.. وبعد ستة أشهر ترجع إلينا لنعيده مكانه.. مكثت أياماً تحت العناية المركزة.. ثم أخرجت منها..

مكثت في أمريكا شهراً كاملاً.. ثم رجعت إلى الرياض..

وها أنذا أنتظر انتهاء الأشهر الستة لأستعيد بقية رأسي!!..

ثم سكت عبدالله.. وهو يدافع عبراته.. وحق له أن يبكي..

أما أنا..

فاستمعت منه هذه الكلمات.. وأنا في أشد العجب من تقلب الزمان على أهله.. فبعد ما كان شاباً مفتول العضلات.. بهيّ الوجه.. يتقلب بين المال الوفير.. والوظيفة.. والصحة.. والعائلة المرموقة.. و.. ثم هو الآن على هذا الحال..

فسبحان من يقضي ولا يقضى عليه..

ما أحقر هذه الدنيا.. حقاً إن الآخرة هي دار القرار..

ومضت الأيام .. وأنا أزوره من حين لآخر..

ومع العلاج منّ الله عليه فشفي من الشلل واستطاع المشي..

فانقطعت عنه مدة.. ثم اتصل بي وأخبرني أنه سيسافر إلى أمريكا

لاستعادة بقية رأسه.. وبعد رجوعه جئته زائراً فإذا وجهه متهلل فرح مسرور.. وقد أكمل الله عليه نعمته وأستعاد بقية رأسه.. وناولني بطاقة يدعوني فيها إلى زواجه..

أما حال هذا الشاب الآن فهو من الصالحين.. بل من الدعاة إلى الله تعالى.. الذين يخدمون الدين بكل مايملكون..

إن نظرت إلى المساكين وجدت أنه يكفل عدداً منهم.. يتولى جمع الزكوات وإنفاقها عليهم بل إن له باعاً في تنسيق المحاضرات لبعض الدعاة..

والمساعدة في طباعة الكتب وتوزيعها.. إلى غير ذلك من وجوه الخير..

﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.. ﴾

أسأل الله تعالى لي.. وله.. ولك.. ولجميع المسلمين الثبات على دينه.. آمين.

وبعد:

أيها الأخ الكريم..

أيتها الأخت الكريمة..

لا أدري كيف أبدأ معك الكلام..

ولا أدري هل ستقبل مني أم لا..

ولكن لابدّ من المصارحة.. فأنت أخ مسلم لك عليّ حق النصح والتوجيه..

و والله ما كتبت إليك هذه الكلمات إلا لأنني أحب لك ما أحب لنفسي من الخير.. فأحسن بي الظن.. ولا تعجل بتمزيق أوراقي..

أنت عبد لله تعالى تقف بين يديه كل يوم خمس مرات.. وكل ذرة من ذرات جسمك.. بل وكل نفس من أنفاسك لايتحرك إلا بإذن خالقك.. فهل سألت نفسك يوماً: كيف علاقتي معه؟!!

هل هو راض عني أم لا؟!!

كيف سيكون اللقاء يوم القيامة؟!..

أنت وحدك الذي تستطيع أن تجيب عن هذه الأسئلة..

والاشتغال بالطاعات.. والكف عن المحرمات.. هو سبيل الوصول إلى رضى الله تعالى.. بل هو سبيل دخول الجنة..

قال ﷺ: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى! قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال من



أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)(١).
هذه هي الوصية الأولى لمن أراد أن يكون من أهل الجنة.. أن يوقن أنه في هذه الدنيا عابر سبيل.. وأن الدار الآخرة هي دار القرار.. وأن البلاء قد ينزل به في أي لحظة.. وأن النفس إذا خرج فقد لايعود إليه..
ولا يغتر بماله وصحته وقوته.. ولابجاهه ومنصبه.. فإنما هذه أحلام قد تزول في طرفة عين..
قال الشيخ (٢):
دعاني ابن لأحد كبار التجار يوماً لزيارة والده المريض..
سألت الولد عن مرض أبيه.. فقال: هو مصاب بتليف في كبده.. وسرطان في أجزاء أخرى من جسده.. لكن الطبيب لم يخبره بذلك.. ونحن لم نخبره أيضاً.. فهو لايدري عن مرضه شيئاً.
دخلت على هذا التاجر.. فإذا هو على السرير الأبيض عمره لم يتجاوز الستين.. لم يتمكن المرض منه بعد.. ولايزال جسمه نشيطاً.. إلى حد ما..
صافحني ثم أمر أولاده بالخروج..
فلما خرجوا وبقيت أنا وهو.. ظل ساكتاً.. ثم بكى.. والتفت إليّ وقال:
آه.. ياشيخ.. تباً لهذه الدنيا.. منذ أن عرفت نفسي وأنا أجمع الأموال.. وأعدها عداً.. وأغامر في مختلف التجارات.. كم كنت أتعب في ذلك.. وانشغل عن عبادة ربي كم نمت عن الصلاة بسبب السهر على الأموال.. ومتابعة الشركات.. وكم غفلت عن قراءة القرآن.. وبخلت عن الإنفاق على المساكين والأيتام..
والله ياشيخ ..
كلما حدثتني نفسي بالاهتمام بديني.. والالتفات إلى آخرتي..
قلت لها: ليس بعد.. بل إذا بلغت الستين.. أعطيت نفسي تقاعد.. واشتريت مزرعة.. وأقمت في راحة وعبادة.. حتى الموت..
ثم ها أنذا يفجعني ما نزل بي من المرض.. وأسأل أولادي عن المرض.. فيقولون: هو التهابات يسيرة واضطرابات في الهضم.. وأنا أظن الأمر على غير ذلك..
ثم بكى الرجل وقال:
هل رأيت أولادي هؤلاء.. الذين يدعونك لزيارتي.. ويظهرون الشفقة والرحمة بي.. بالأمس جلسوا عندي فتظاهرت بالنوم ليخرجوا عني..
فلما ظنوا أني قد نمت بدؤوا يتكلمون عن تجاراتي.. ويحسبون أموالي.. وكم سينال كل واحد منهم من التركة.. وكيف سيتمتع بالمال..

(١) رواه البخاري.
(٢) إذا قلت في هذا الكتاب الشيخ فإنني لا أعني به شخصا معيناً ، وإنما أرمز به إلى من حدثني بالقصة من الدعاة.

ثم ارتفعت أصواتهم.. واختصموا على عمارة كبيرة لي.. قال الأول: نبيعها وندخل ثمنها في التركة.. وقال الآخر: بل نؤجرها.. وصاح الثالث: بل تكون من نصيبي.. وارتفعت الأصوات.. تباً لهم.. يختصمون في مالي وأنا حي بين أظهرهم..

ثم بدأ ينوح على نفسه.. ولسان حاله يردد: ﴿ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه..﴾ ﴿رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت..﴾ هذه هي الوصية الأولى لمن أراد أن يكون من أهل الجنة..

أما الوصية الثانية

فإن أهل الجنة.. إذا ضاق صدر أحدهم بمصيبة.. أو اشتاقت نفسه إلى حاجه.. بسط في ظلمة الليل يداً سائلة.. وسجد بنفس واجلة.. وسأل ربه من خير كل نائلة.. وأحسن الظن بربه.. وعلم بأنه واقف بين يدي ملك.. لاتشتبه عليه اللغات.. ولا تختلط عنده الأصوات.. ولا يتبرم بكثرة السائلين وتنوع المسئولات.. إذا جن عليهم الليل.. وفتح ربهم أبواب مغفرته.. كانوا أول الداخلين.. فهم المؤمنون بآيات الله حقاً..

﴿إنما يؤمن بأياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون..﴾



وقد أمر النبي ﷺ بقيام الليل.. وصلاة الوتر فقال ﷺ: (إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن) [٣]..

ويجمع الله لمن يصلي الوتر بين نعمتي الدنيا والآخرة.. قال ﷺ: (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الأثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد) [٤]..

---

(٣) رواه الترمذي وأصله في الصحيحين.

(٤) رواه الترمذي وهو حديث حسن.

والعجب.. أن صلاة الوتر هي أسهل العبادات.. ومع ذلك يهملها كثير من الناس.. لو أن إنساناً صلى المغرب.. فقلنا له: يا فلان لم لاتصلي سنة المغرب؟! فسألنا: كم ركعة سنة المغرب؟

فقلنا له: هي ركعتان.. فقال: سوف أصليها ركعة واحدة؟!

لقلنا له: لايجوز.. صلها ركعتين أو لاتصلها..

وكذلك صلاة الضحى.. وسنة الفجر.. وسنة العشاء.. وصلاة الاستخارة.. اقلها ركعتان.. أما صلاة الوتر.. فهي أفضل النوافل على الإطلاق.. ومع ذلك خففها رب العالمين على الناس فيجوز أن تصليها ركعة.. فصلها ولو ركعة واحدة تقرأ فيها سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ ما تستغرق منك دقيقتين..

نعم تصلي ركعة واحدة وتكتب عند الله ممن صلوا الليل.. فإذا جيء إلى الله يوم القيامة بأسماء قوام الليل في تلك الليلة تجد اسمك من بينهم وأنت ماصليت إلا ركعة واحدة.. فكيف لو زدت وصليت ثلاث ركعات. أو خمساً.. أو سبعاً.. هذا أفضل.. ومن زاد فله الزيادة عند الله..

وليس شرطاً أن تصليها قبل الفجر.. بل صلها بعد العشاء مباشرة أو قبل النوم.. وقد كان النبي ﷺ إذا حز به أمر.. أو ضاق صدره.. فزع إلى الصلاة.. وكان يقول أرحنا بالصلاة يابلال.. وقال ﷺ : جعلت قرة عيني في الصلاة..

وكان للصالحين مع الصلاة شأن عجيب.. قال أبو صالح ابن أخت مالك بن دينار: كان خالي مالك بن دينار إذا جن عليه الليل دخل إلى غرفة في بيته وأغلق عليه الباب ولايخرجه إلينا إلا أذان الفجر.. فبكرت يوماً إلى الغرفة واختبأت في إحدى زواياها في ظلمة الليل.. فدخل خالي وفرش سجادته.. وصف قدميه عليها فلما رفع يديه ليكبر.. غلبه البكاء فبكى.. ثم أخذ يبكي ويستغفر ويبتهل.. ثم قبض على لحيته وقال: اللهم إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار.. وأخذ يرددها ويبكي.. وأعلم أخيراً.. أن الاكثار من الصلاة والسجود لله تبارك وتعالى من أسباب دخول الجنة..

عن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ. فآتيه بوضوئه وحاجته، فقال لي: (سل)، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. فقال (أو غير ذلك)؟.. قلت هو ذاك. فقال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود)[٥].

ومن ذلك: صلاة السنن الرواتب.. قال ﷺ : (من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة: أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الغداة «الفجر»)[٦].

---

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه الترمذي.

الوصية الثالثة

إن من أعظم صفات أهل الجنة هي أن وظيفة أحدهم الأساسية في هذه الحياة هي عبادة الله.. والدعوة إليه.. والعمل لهذا الدين.. ونصح الناس.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وبصراحة..

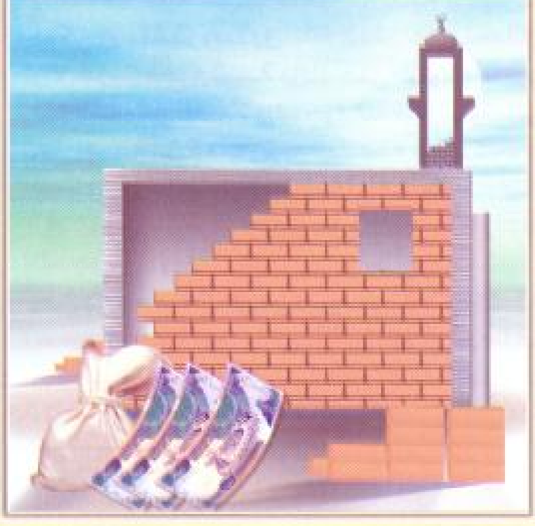
بعض الناس إذا سمع الحديث حول الدعوة إلى الله.. ظن أن الدعوة مقصورة على من أعفى لحيته وقصر ثوبه.. ثم قال لك: أنا أحلق لحيتي.. وأسبل ثوبي.. وأدخن.. وجعل هذه الأمور حائلاً بينه وبين الدعوة إلى الله تعالى ونصح المقصرين.. وهذا خطأ من وساوس الشيطان..

نعم لا أنكر أن الأصل في الداعية أن يكون مستقيماً مطبقاً لما يدعو إليه.. ولكن لا يعني هذا أن يترك الرجل الطاعات بسبب وقوعه في بعض المعاصي.. ولعل تلك المعاصي أن تغوص في بحر الحسنات..

بل قد يستطيع المقصر أن يصل إلى أشخاص لا يستطيع أن يصلهم الداعية المستقيم.. فأنت وإن كنت مقصراً إلا أنك تستطيع أن تدعو تارك الصلاة إلى أن يصلي.. فترك الصلاة كفر..

أنت تستطيع أن تنصح من يقع في الفواحش أن يتوب منها.. تنصح من يتعرض لأعراض المسلمين بأن يكف عن ذلك..

بل قد يجالس الداعية المستقيم بعض الناس ولا يعلم أنهم يأكلون الربا.. أو يقعون في الفواحش.. أو يتركون الصلاة.. لأنهم يتظاهرون بالخير أمام الصالحين.. أما من رأوه مثلهم فلا يتصنعون أمامه بشيء.. بل يكشفون أمامه أوراقهم.. ويظهرون كل شيء.. أما كيف تنصحهم وتدعوهم.. فهذا يكون بأساليب شتى.. كإهداء الأشرطة النافعة إليهم.. ودعوة بعض الدعاة إلى مجالسكم أحياناً.. والنصيحة الفردية لهم.. وغير ذلك.. ولا تقل أنا غير ملتزم فكيف أدعو وأنصح؟!.. فإن وظيفة الدعوة إلى الله وظيفة ربانية واسعة.. كثيرة الأساليب لا تزال تحتاج إلى عاملين.. وكلنا ذوو خطأ.. وكل بني آدم خطاء..



ولو لم يعظ في الناس من هو مذنب فمن يعظ العاصين بعد محمد ؟!

قال الشيخ:
خرجت من المسجد يوماً فجاءني شاب عليه آثار المعصية.. وقد اسودت شفتاه من كثرة التدخين.. فعجبت لما رأيته.. ماذا يريد.. فلما سلم عليّ قال: ياشيخ أنتم تجمعون أموالاً لبناء مسجد أليس كذلك؟
قلت: بلى..
فناولني ظرفاً مغلقاً وقال: هذا مال جمعته من أمي وأخواتي وبعض المعارف.. ثم ذهب.. ففتحت الظرف فإذا فيه خمسة آلاف ريال.. وأنفق هذا المال في بناء المسجد.. واليوم لايذكر الله في ذلك المسجد ذاكر.. ولايتلو القرآن قارئ.. ولايصلي مصل.. إلا وكان في ميزان ذاك الشاب مثل أجره.. فهنيئاً له..
ولو أن هذا الشاب استسلم لتخذيل الشيطان وقال: أنا عاص.. فإذا تبت بدأت أخدم الدين وابني المساجد.. لفاته أجر عظيم.. وقد قال ﷺ: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً)[٢].
- وأعرف اثنين من الشباب - المقصرين - هما منذ سنوات.. إذا أقبل شهر رمضان أو موسم الحج ركبا في سيارة وأخذا معهما أدوات خاصة بإصلاح أعطال السباكة والكهرباء.. ثم توجها إلى مكة.. ومرا على جميع دورات المياه التي في طريق الحجاج والمعتمرين وأصلحا أعطالها.. خدمة لإخوانهم المسلمين.. ولا أحد يعرف عنهما ذلك..
وحدثني أحد الدعاة أنه طرق عليه الباب في آخر الليل..
قال الشيخ: فخرجت فزعاً فإذا شاب عليه آثار التقصير والمعصية.. فسألته: ماذا تريد؟!
فقال: معي في السيارة اثنان من العمال الهنود أسلما على يدي وقد احضرتهما إليك لتلقنهما الشهادة وتجيب عن أسئلتهما..!!
قال الشيخ: فعجبت وقلت.. كيف دعوتهما؟
فقال: لا زلت أتابعهما بالكتب والأشرطة حتى أسلما..
- وحدثني أحد العاملين في مكتب للدعوة والإرشاد أن شاباً مدخناً.. وعنده معاص أخر. ومع ذلك فإن هذا الشاب إذا أقبل رمضان جمع تبرعات من التجار ثم اشترى آلاف الأشرطة وحملها إلى مكاتب الدعوة لتوزيعها خلال نشاطاتهم في رمضان.. طالما اشتكى العاملون في مكاتب الدعوة والإرشاد من قلة المتعاونين معهم.. يقسم لي أحدهم: أن بعض العمال الكفار ليس بينه وبين الإسلام إلا أن يتفرغ له شخص أسبوعاً أو أسبوعين يأتي به إلى مكتب الدعوة لحضور المحاضرات.. ولايجد المكتب متعاوناً يهتم بمثل هذا..

---

(٢) رواه مسلم.

بل.. كم من خادمة كافرة ما نشط أصحابها في دعوتها ولا أهدوا لها كتاباً ولا شريطاً عن الإسلام.. فبقيت على كفرها.. **وكم من شاب فاجأه الموت وهو تارك للصلاة.. أو مقيم على كبيرة من الكبائر..** لأن الدعاة ما استطاعوا الوصول إليه.. وأصحابه ما نشطوا في نصيحته..

وكم من فتاة ترى زميلاتها في المدرسة.. يتبادلن الصور والأشرطة المحرمة.. بل وأرقام الهواتف المشبوهة.. ومع ذلك إذا طالبناها بنصيحتهن قالت: أنا احتاج إلى من ينصحني.. أنا مقصرة.. إذا أصبحت ملتزمة نصحتهن..

عجباً..

ما أسعد الشيطان بسماع هذه الكلمات..

كيف دخل الإسلام إلى أفريقيا والهند والصين..!! حتى صار في الهند مائة مليون مسلم.. وفي الصين قريباً من ذلك.. من دعا هؤلاء؟..

إنهم أقوام من عامة الناس.. ليسوا طلبة علم.. ولا أئمة مساجد.. ولا تخرجوا من كليات شرعية..

أقوام ذهبوا للتجارة.. فدعوا الناس فأسلموا على أيديهم.. فخرج من هؤلاء المسلمين الهنود والصينيين والأفارقة علماء ودعاة.. وأجر هدايتهم لأولئك التجار..

لقد سألت مراراً عدداً من العمال الكفار الذين في محطات البنزين.. أقول لأحدهم: منذ متى وأنت في هذه البلاد فيقول: منذ خمس سنوات.. وسبع سنوات.. **فأقول: هل أعطاك أحد شريطاً أو كتاباً عن الإسلام منذ جئت إلى هنا؟!**

فيعتصر قلبي بقوله: لا.. كل الناس يملئون سياراتهم بالوقود ويذهبون..



يا أخي قد تكون مقصراً.. بل قد تستمع إلى الأغاني.. وقد تدخن.. وقد تقع في المعاصي ولكن أنت مسلم أولاً وآخراً..

وقد قال لك النبي ﷺ: (بلغوا عني ولو آية)..

أفلا تحفظ آية تبلغها..

إن توزيع الأشرطة.. ونشر الكتب.. وتوزيع بطاقات الأذكار.. أمور لا تحتاج إلى علم.. من منا إذا سافر أخذ معه مجموعة من الأشرطة النافعة ثم إذا وقف في محطة وقود

وضع في البقالة بعضها.. والبعض الآخر في مسجد المحطة.. أو وزعها على السيارات الواقفة.. الناس في الطريق لابد أن يستمعوا إلى شيء فكن معيناً لهم على سماع الذكر والخير..

من منا إذا رأى كتاباً نافعاً اشترى منه كمية ثم وزعها في مسجده.. أو أهداها لزملائه في العمل.. أو طلابه في المدرسة..

وأنا بكلامي هذا لا أسوغ الوقوع في المعاصي.. أو أعتذر عن أصحابها.. ولكن.. ذكر إن نفعت الذكرى ولا ينبغي أن تحول المعصية بين صاحبها وبين خدمة هذا الدين..

أبو محجن الثقفي رضي الله عنه رجل من المسلمين كان قد ابتلى بشرب الخمر.. وطالما عوقب عليها ويعود.. ويعاقب ويعود.. بل كان من شدة تعلقه بالخمر يوصي ولده ويقول:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ... تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فلما تداعى المسلمون للخروج لقتال الفرس في معركة القادسية خرج معهم أبو محجن.. وحمل زاده ومتاعه.. ولم ينس أن يحمل معه خمراً.. دسها بين متاعه.. فلما وصلوا القادسية.. طلب رستم مقابلة سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين.. وبدأت المراسلات بين الجيشين.. عندها وسوس الشيطان لأبي محجن رضي الله عنه فأختبأ في مكان بعيد وشرب الخمر.. فلما علم به سعد رضي الله عنه غضب عليه.. وحرمه من دخول القتال.. ثم أمر به فقيد بالسلاسل.. وأغلق عليه في خيمة..

فلما ابتدأ القتال وسمع أبو محجن صهيل الخيول.. وصيحات الأبطال.. لم يطق أن يصبر على القيد.. واشتاق إلى الشهادة.. بل اشتاق الى خدمة هذا الدين.. وبذل روحه لله تعالى.. نعم.. وإن كان عاصياً.. **وإن كان مدمن خمر.. إلا أنه مسلم يحب الله ورسوله..** فأخذ يتحسر على حاله ويترنم قائلاً:

كفى حزناً أن تدحم الخيل بالقنى ... وأترك مشدوداً علي وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت ... مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وأخوة ... وقد تركوني مفرداً لا أخا ليا
فلله عهد لا أحيف بعهده ... لان فرجت ألا أزور الحوانيا

ثم أخذ ينادي بأعلى صوته..

فأجابته إمرأة سعد: ماذا تريد؟

فقال: فكي القيد من رجلي وأعطيني البلقاء فرس سعد.. فأقاتل فإن رزقني الله الشهادة فهو ما أريد.. وإن بقيت فلك علي عهد الله وميثاقه أن أرجع حتى تضعي القيد في قدمي.. وأخذ يرجوها ويناشدها.. حتى فكت قيده وأعطته البلقاء.. فلبس درعه.. وغطى وجهه بالمغفر.. ثم قفز كالأسد على ظهر الفرس.. وألقى نفسه بين الكفار يدافع عن هذا الدين ويحامي..

علق نفسه بالآخرة ولم يفلح إبليس في تثبيطه عن خدمة هذا الدين..

حمل على القوم يلعب برقابهم بين الصفين برمحه وسلاحه.. تعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه في النهار.. ومضى أبو محجن يقاتل.. ويبذل روحه رخيصة في ذات الله.. نعم.. مضى أبو محجن..

أما سعد بن أبي وقاص فقد كانت به قروح في فخذيه فلم ينزل ساحة القتال.. لكنه كان يرقب القتال من بعيد.. فلما رأى أبا محجن عجب من قوة قتاله.. وقال: الضرب ضرب أبي محجن.. والكركرُ البلقاء.. وأبو محجن في القيد.. والبلقاء في الحبس..!! فلما انتهى القتال عاد أبو محجن إلى سجنه.. ووضع رجله في القيد ونزل سعد فوجد فرسه يعرق فقال: ماهذا؟ فذكروا له قصة أبي محجن فرضي عنه وأطلقه وقال: والله لا جلدتك في الخمر أبداً. فقال أبو محجن: وأنا والله لا شربت الخمر أبداً..

فلله در أبي محجن(*)..

الوصية الرابعة

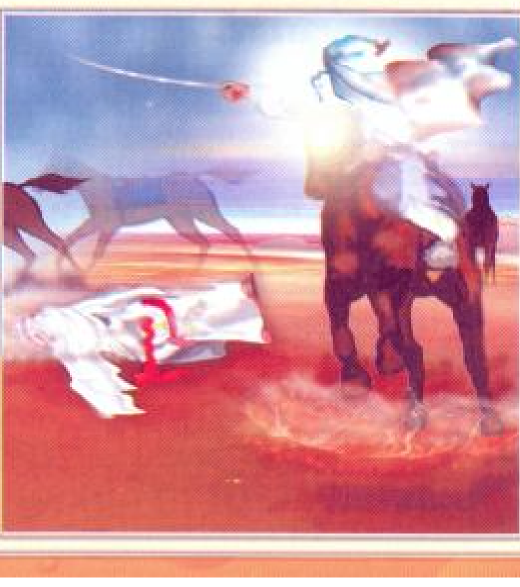
ذكر ابن كثير في تاريخه أن رجلاً من ضعفاء الناس كان له على أحد الأمراء مال كثير.. فماطله ومنعه حقه.. وكلما طالبه به آذاه.. وأمر غلمانه بضربه.. فاشتكاه إلى قائد الجند.. فما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً..

قال هذا الرجل المسكين:

فلما رأيت ذلك.. يئست من المال الذي عليه ودخلني غم من جهته. فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من اشتكي..

إذا قال لي رجل: ألا تأتي فلاناً الخياط أمام المسجد..

فقلت: ما عسى أن يصنع خياط من هذا الظالم؟ وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه..



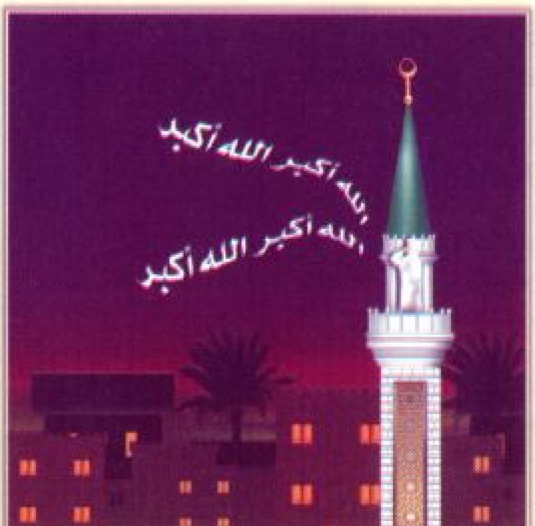
فقال: الخياط هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه.. فأذهب لعلك أن تجد عنده فرجاً..

قال: فقصدته غير محتفل في أمره.. فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم.. فقام وأقفل دكانه.. ومضى يمشي بجانبي حتى وصل إلى بيت

(*) إسناد قصة أبي محجن صحيح كما ذكر ابن حجر في الإصابة ج/٤ قسم الكنى.

الرجل.. وطرقنا الباب.. ففتح الرجل الباب مغضباً.. فلما رأى الخياط.. فزع.. وأكرمه واحترمه..
فقال له الخياط: أعط هذا الضعيف حقه..
فأنكر الرجل وقال: ليس له عندي شيء..
فصاح به الخياط وقال: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت..!!
فتغير لون الرجل ودفع إلي حقي كاملاً..
ثم انصرفنا..
وأنا في أشد العجب من هذا الخياط.. مع رثاثة حاله.. وضعف بنيته.. كيف انقاد ذلك الكبير له..
ثم إني عرضت عليه شيئاً من المال فلم يقبل..
وقال: لو أردت هذا لكان لي من المال مالا يحصى..
فسألته عن خبره وذكرت له تعجبي منه.. فلم يلتفت إليّ.. فألححت عليه..
وقلت: لماذا هددته بأن تؤذن؟!..
قال: قد أخذت مالك فاذهب.. قلت: لابد والله أن تخبرني..
فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا قبل سنين في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة وهو شاب حسن جميل.. فمرت به ذات ليلة امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة..
فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها ليدخلها منزله.. وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها وتقول: أنا امرأة متزوجة.. وهذا رجل يريدني على نفسي ويدخلني منزله.. وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله ومتى بت ها هنا طلقت منه.. ولحقني عار ومذلة.. لا تغسلها الأيام..
قال الخياط: فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من بين يديه فضربني بسكين في يده فشج رأسي وأسال دمي..
وغلب المرأة على نفسها فأدخلها منزله قهراً..
فرجعت وغسلت الدم عني وعصبت رأسي.. وصحت بالناس وقلت..
إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معي إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه..
فقام الناس معي فهجمنا عليه في داره فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيدهم العصي والسكاكين يضربون الناس.. وقصدني هو من بينهم فضربني ضرباً شديداً مبرحاً حتى أدماني.. وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة والذل..
فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء..
فنمت على فراشي فلم يأخذني النوم.. وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل لترجع فتبيت في منزلها حتى لايقع عليها من زوجها الطلاق..

فألهمت أن أؤذن للصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله.. فتذهب إلى منزل زوجها..
فصعدت المنارة وبدأت أؤذن وأرفع صوتي..
وجعلت أنظر إلى باب داره هل أرى المرأة خرجت.. ثم أكملت الأذان فلم تخرج.. ثم عزمت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الخبيث أن الصباح قد خرج.. فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا.. اذ امتلأت الطريق فرساناً ورجالاً..
وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟ وينظرون إلى منارة المسجد..
فصحت بهم: أنا الذي أذنت.. وأنا أريد أن يعينوني عليه..
فقالوا: انزل! فنزلت..
فقالوا: أجب الخليفة.. ففزعت.. وسألتهم بالله أن يسمعوا القصة فأبوا..
وساقوني أمامهم وأنا لا أملك من نفسي شيئاً حتى أدخلوني على الخليفة..
فلما رأيته جالساً في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعاً شديداً..
فقال: ادن.. فدنوت..
فقال لي: ليسكن روعك وليهدأ قلبك.. ومازال يلاطفني حتى اطمأنت نفسي.. وذهب خوفي..
فقال لي: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟
قلت: نعم يا أمير المؤمنين..
فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة؟.. وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؟ فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلي وتفسد على النساء صلاتهن..
فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟
فقال: أنت آمن.. فذكرت له القصة.. فغضب غضباً شديداً..
وأمر بإحضار ذلك الرجل والمرأة.. فأحضرا سريعاً..
فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات.. ثم أقبل على ذلك الرجل فقال له: كم لك من



الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجواري والزوجات؟ فذكر له شيئاً كثيراً فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت على حدوده وتجرأت على السلطان؟! وما كفاك ذلك حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته؟! فلم يكن له جواب..

فأمر به فجعل في رجله قيد.. وفي عنقه غل.. ثم أمر به فأدخل في كيس..

وهذا الرجل يصيح ويستغيث.. ويعلن التوبة والإنابة.. والخليفة لا يلتفت إليه.. ثم أمر الخليفة به فضرب بالسكاكين ضرباً شديداً حتى خمد..

ثم أمر به فألقي في دجلة فكان ذلك آخر العهد..

ثم أمر الخليفة صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الأموال التي كان يتناولها من بيت المال..

ثم قال لي: كلما رأيت منكراً صغيراً أو كبيراً ولو على هذا - وأشار إلى صاحب الشرطة - فأعلمني.. فإن اتفق اجتماعك بي وإلا فعلامة ما بيني وبينك الأذان.. فأذن في أي وقت كان.. أو في مثل وقتك هذا..

فقلت: جزاك الله خيراً.. ثم خرجت..

فلهذا: لا آمر أحد من هؤلاء بشيء إلا امتثلوه.. ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفاً من الخليفة المعتضد.. وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن.. والحمد لله.

أيها الأخ الحبيب.. والأخت الكريمة..

إن المشتاقين إلى الجنة.. والراغبين في دخولها.. لا يسكتون عن منكر رأوه.. بل يسلكون شتى الطرق.. ومختلف الأساليب لإزالة المنكرات ومناصحة أهلها..

فأين أولئك.. الذين يرون المنكرات.. ولا تنشط نفوسهم لإنكارها.. وربما أنكروا مرة أو مرتين فلما لم يقبل منهم.. يئسوا من الإصلاح.. وألقوا السلاح.. وليسألن يوم القيامة عن ذلك..

وما كثرت المنكرات بين الناس.. في أسواقهم.. وبيوتهم.. ومدارسهم.. وأماكن **﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون..﴾**

وقد **قال رسول الله ﷺ: «لا يحقر أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟! قال: يرى أمراً لله عليه فيه مقال.. ثم لا يقول فيه، فيقول الله له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس.. فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى»**[٨].

واعلم أن **قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[٩] يشمل كل مسلم

(٨) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

(٩) رواه مسلم.

ومسلمة.. وأنت من المسلمين بل أن الساكت عن إنكار المنكر يخشى عليه أن يكون شريكاً لفاعله في الإثم.. قال ﷺ: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها - وقال مرة: أنكرها - كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها»(١٠).

الوصية الخامسة

من محبة الله تعالى للصالحين.. الذين هم أهل الجنة.. أن الله يجمع لهم بين سعادتي الدنيا والآخرة..

واعلم أن الملل الدائم الذي ينزله الله بمن عصاه.. أو طلب السعادة في غير رضاه.. يضيق على أهل المعصية دنياهم.. وينغص عليهم عيشهم.. حتى يتحول ما يسعون وراءه من متع إلى عذاب يتعذبون به..

فلماذا..؟!

لماذا يتحول سماعهم للغناء.. ومواقعتهم للفحشاء.. وشربهم للخمر.. ونظرهم إلى الحرام.. لماذا يتحول هذا إلى ضيق بعد أن كان سعة.. وحزن بعد أن كان فرحة.. لماذا؟

الجواب واضح.. لأن الله تعالى خلق الإنسان لوظيفة واحدة.. لا يمكن أن تستقيم حياته لو اشتغل بغيرها.. ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.. ﴾

فإذا استعمل الإنسان جسده وروحه لغير الوظيفة التي خلق لأجلها تحولت حياته إلى جحيم. وخذ مثالا على ذلك: لو أن رجلاً يمشي في طريق فانقطع نعله فجأة فلما رأى ذلك قال: لا مشكلة أستعمل القلم بدل النعل ثم وضع قلمه تحت رجله وأراد المشي.. لقلنا له: أنت مجنون لأن القلم صنع للكتابة ولم يصنع للمشي..



وكذلك لو احتاج قلماً فلم يجد فقال: لا مشكلة أكتب بحذائي..!! ثم تناول حذاءه وبدأ يجره على الورق!! لقلنا له: أنت مجنون لأن الحذاء إنما صنع لوظيفة واحدة هي

(١٠) رواه أبو داود. وفي إسناده مقال.

المشي ولم يصنع للكتابة..
وكذلك الإنسان.. خلق لوظيفة واحدة هي طاعة الله وعبادته.. فمن استعمل حياته لغير هذه الوظيفة فلابد أن يضل ويشقى..
ولو نظرت في حال من استعملوا حياتهم لغير ما خلقوا له لوجدت في حياتهم من الفساد والضياع ما لا يوجد عند غيرهم .. هلا تساءلت معي:
لماذا يكثر الانتحار في بلاد الإباحيّة والفجور..؟
لماذا ينتحر في أمريكا سنويا أكثر من خمسة وعشرين ألف شخص..؟
وقل مثل ذلك في بريطانيا.. وقل مثله في فرنسا.. والسويد.. وغيرها..!
لماذا ينتحرون؟!..
ألم يجدوا خموراً يشربون؟.. كلا.. بل الخمور كثيرة..
ألم يجدوا بلاداً يسافرون؟.. كلا.. البلاد واسعة..
أم منعوا من الزنا؟
أم حيل بينهم وبين الملاعب والملاهي..
كلا.. بل هم يفعلون ما شاءوا.. يتقلبون بين متع أعينهم.. وأبصارهم وفروجهم..
إذن.. لماذا ينتحرون.. لماذا يملون من حياتهم؟!
لماذا يتركون الخمور والزنا والملاهي.. ويختارون الموت.. لماذا..؟؟
الجواب واضح ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا .. ﴾
تلاحقهم المعيشة الضنك في ذهاب أحدهم ومجيئه.. وسفره وإقامته.. تأكل معه وتشرب.. تقوم معه وتقعد.. تلازمه في نومه ويقظته.. تنغص عليه حياته حتى الموت..
ومن أعرض عن الله وتكبر.. ألقى الله عليه الرعب الدائم.. قال الله:
﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب.. ﴾ لماذا؟ ﴿ بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين.. ﴾
أما العارفون لربهم.. المقبلون عليه بقلوبهم فهم السعداء ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.. ﴾
قال الشيخ:
ذهبت للعلاج في بريطانيا..
فادخلت إلى مستشفى من أكبر المستشفيات هناك.. لايكاد يدخله إلا كبير أو وزير..
فلما دخل عليّ الطبيب ورأى مظهري قال: أنت مسلم؟
قلت: نعم..
فقال: هناك مشكلة تحيرني منذ عرفت نفسي.. هل يمكن أن تسمعها مني؟
قلت: نعم..
فقال: أنا عندي أموال كثيرة.. ووظيفة مرموقة.. وشهادة عالية.. وقد

جربت جميع المتع.. شربت الخمور المتنوعة.. وواقعت الزنا.. وسافرت إلى بلاد كثيرة.. ومع ذلك.. لا أزال أشعر بضيق دائم.. وملل من هذه المتع..

عرضت نفسي على عدة أطباء نفسيين..

وفكرت في الانتحار عدة مرات لعلي أجد حياة أخرى.. ليس فيها ملل..

ألا تشعر أنت بمثل هذا الملل والضيق؟!

فقلت له: لا.. بل أنا في سعادة دائمة.. وسوف أدلك على حل المشكلة.. ولكن أجبني.. أنت إذا أردت أن تمتع عينيك فماذا تفعل؟ قال: أنظر إلى امرأة حسناء أو منظر جميل..

قلت: فإذا أردت أن تمتع أذنيك فماذا تفعل؟ قال: أستمع إلى موسيقى هادئة..

قلت: فإذا أردت أن تمتع أنفك فماذا تفعل؟ قال: أشم عطراً.. أو أذهب إلى حديقة..

قلت له: حسناً.. إذا أردت أن تمتع عينك لماذا لا تستمع إلى الموسيقى؟

فعجب مني وقال: لايمكن لأن هذه متعة خاصة بالأذن..

قلت: فإذا أردت أن تمتع أنفك لماذا لا تنظر إلى منظر جميل؟

فعجب أكثر مني وقال: لايمكن لأن هذه متعة خاصة بالعين.. ولا يمكن أن يتمتع بها الأنف.. قلت له: حسناً.. وصلت إلى ما أريده منك..

أنت تحس بهذا الضيق والملل في عينك؟

قال: لا !!.. قلت: تحس به في أذنك؟!.. في أنفك؟!.. فمك؟!.. فرجك؟!.

قال: لا.. بل أحس به في قلبي.. في صدري..



قلت: أنت تحس بهذا الضيق في قلبك.. والقلب له متعة خاصة به.. لا يمكن أن يتمتع بغيرها.. ولابد أن تعرف الشيء الذي يمتع القلب.. لأنك بسماعك للموسيقى.. وشربك للخمر.. ونظرك وزناك.. لست تمتع قلبك وانما تمتع هذه الأعضاء!!..

فعجب الرجل، وقال: صحيح.. فكيف أمتع قلبي؟!!

قلت: بأن تشهد أن لا إله إلا الله.. وأن محمداً رسول

الله.. وتسجد بين يدي خالقك.. وتشكو بثك وهمك إلى الله.. فإنك بذلك تعيش في راحة واطمئنان وسعادة.. فهز الرجل رأسه وقال: اعطني كتباً عن الإسلام.. وادع لي.. وسوف أسلم.. ثم أكملت علاجي وسافرت.. ولعل الرجل يكون أسلم بعد ذلك..

وصدق الله إذ يقول: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون..﴾ فعجباً لأقوام يلتمسون الأنس والانشراح.. ويبحثون عن السعادة في غير طريقها.. والله يقول: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون..﴾

ففرق الله بين عيش السعداء.. وعيش الأشقياء.. في المحيا والممات..

قال الشيخ: جاء إليّ شاب يوماً.. فتأملت وجهه فإذا وجه مظلم مكتئب.. فسألته عن حاجته.. فسكت.. كررت عليه السؤال.. فلم يتكلم.. نظرت إليه.. فإذا دموعه تسيل من عينيه.. فسألته: لماذا تبكي؟

فقال: لا أستطيع التنفس من شدة الضيق.. والملل.. أشعر والله ياشيخ أن على صدري جبلاً يكتم أنفاسي.. لم أعد أتحمل الناس.. ولا الأصدقاء.. بل أمي وأبي وإخوتي.. لم أعد أطيق الجلوس معهم.. ضحكي مجاملة.. وسروري تظاهر.. فجئت إليك لتعالجني بالرقية.. أو تدلني على من يعالجني.. ثم احتبس صوته وصمت..

فسألته: هذا الضيق لابد أن له سبباً.. فما السبب؟ فقال: لا أدري..

فقلت: كيف علاقتك بربك..

فقال: سيئة.. واسمع قصتي.. قلت: هاتها..

فقال: لما كان عمري أربع عشرة سنة.. ذهب أبي إلى أمريكا للدراسة فذهبت معه.. وأهملني أبي هناك بين المراقص والأسواق وأنا في تلك السنّ المبكرة..

فلما أتم أبي دراسته سنتين عدنا إلى الرياض فطلبت أن يعيدني إلى أمريكا لأكمل الدراسة فرفض.. فدرست في السنة الثالثة المتوسطة وتعمدت أن أرسب في جميع المواد.. وأعدت السنة.. وتعمدت أن أرسب.. فأعدت السنة ثالثة.. وتعمدت أن أرسب أيضاً.. فلما رأى أبي ذلك أرسلني إلى أمريكا.. لأكمل دراستي.. وكان المفروض أن أنهي الدراسة في أربع سنوات لأتخرج من الثانوية.. لكني أنهيتها في تسع سنوات..

لم تبق معصية على وجه الأرض إلا فعلتها هناك.. لأنني كنت أريد أن أتمتع بشبابي بقدر ما أستطيع..

ثم عدت إلى الرياض وبدأت أدرس في الجامعة.. وأنا لا أزال على المعاصي الكبيرة والصغيرة لكن هذا الضيق الشديد.. بدأ يكتم عليّ أنفاسي.. يضيق عليّ حياتي.. مللت من كل شيء.. كل شيء جربته..

لكن الملل يلازمني..!!

قال هذا الكلام كله.. وهو يدافع عبراته.. ويبكي..
فسألته: هل تصلي..؟ قال: لا..
قلت: أول علاج لهذا الهم هو أن تصلح علاقتك بالذي قلبك بين يديه يقلبه كما يشاء.. فحافظ على الصلاة في المسجد.. وموعدي معك بعد سبعة أيام..
ومضت الأيام..
وبعد أسبوع جاءني بغير الوجه الذي فارقته عليه.. وأول ما رآني عانقني وقال: جزاك الله خيراً.. والله يا شيخ إنني في سعادة ماذقتها منذ تسع سنوات.. فسألته عن الضيق والملل والاكتئاب.. فإذا هو قد زال عنه كله..
وصدق الله إذ قال: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون..﴾
قال الشيخ:
جاءني شخص يوماً وقال:
ياشيخ أخي مصاب بسحر وأريدك أن تدلنا على أحد يقرأ عليه شيئاً من القرآن.. ويرقيه بالرقية الشرعية.. فطلبت أن أقابل أخاه.. فلما جاء إليّ.. فإذا المريض مكتئب الوجه.. ضائق الصدر.. مضطرب الحال..
فسألته من ماذا تشتكي؟
فقال: أنا مسحور!!
فسألته: ما علامات سحرك؟!
فقال: أشعر بضيق دائم.. يلازمني الملل والاكتئاب.. مللت من كل شيء.. وكرهت مخالطة الناس.. حتى أمي وأخوتي لم أعد أتحمل مجالستهم.. زوجتي كثرت المشاكل بيننا فذهبت إلى أهلها منذ سنة.. أولادي أمل من مجالستهم.. ثم دافع عبراته وسكت..
فقلت له: ولماذا تجزم بأنك مصاب بسحر.. لعل ما أصابك هو عقوبة من الله تعالى على بعض معاصيك.. لعل الله اطلع عليك وأنت تعصيه فنزع منك انشراح الصدر..
والله يقول: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن



كثير.. ﴾

فقال: لا.. أنا مسحور فاقرأ عليّ الرقية الشرعية..

قلت: حاسب نفسك وراقب عملك وأبشر بالخير..

فقال: لا.. بل أنا مسحور فاقرأ عليّ..

فلما أكثر عليّ تناولت كأس ماء كان بجانبي ثم قرأت الفاتحة ونفثت فيه..

ثم قلت له: اشرب.. قد قرأت عليك!!..

فشرب الماء وخرج..

وبعد يومين اتصل بي أخوه وقال: يا شيخ.. أبشرك.. قد نفع الله بتلك القراءة.. فعجبت!!.. وقلت: كيف؟

قال: قد كان أخي بالأمس عند أمي وأخوتي طوال اليوم.. وفي المساء أحضر زوجته وأولاده.. والله ياشيخ إن أمي وزوجته تدعون لك.. وجزاك الله خيراً على فك السحر.. فعجبت والله من ذلك.. وطلبت منه أن يحضر مع أخيه إليّ..

فلما حضرا.. سألت المريض: هاه.. يا فلان.. وجدت السحر؟!

قال: لا.. ولكن وجدت شيئاً آخر.. وجدت أفلاماً خليعة.. ومخدرات..

قلت: كيف؟!!

قال: لما ذهبت من عندك حاسبت نفسي.. وتأملت في الآية ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم.. ﴾ فأخذت أتلمس موضع الخلل. فإذا أنا لست حريصاً على الصلاة أبداً.. إضافة إلى أني منذ زمن.. مدمن النظر إلى الأفلام الخليعة.. فمن كثرة مشاهدتي لها أبغضت زوجتي.. وأولادي.. وصار الضيق يلازمني.. فبدأت أتعاطى المخدرات لإزالة هذا الضيق عني.. فزاد غمي غماً.. وكنت أظن أني مسحور لشدة هذا الضيق..

فجمعت هذه الأفلام وأحرقتها.. ثم أخذت ما تبقى عندي من المخدرات وألقيتها في المرحاض وصببت عليها الماء.. وأعلنت التوبة إلى الله تعالى..

فوالله ياشيخ ماكدت أفعل ذلك.. حتى شعرت كأن جبلاً كان فوق صدري وانزاح عني..

الوصية السادسة

أهل الجنة قوم سمت نفوسهم عن التعلق بمحبة الخلق إلى التعلق بمحبة الخالق..

يحبهم ربهم.. ويحبونه.. ربهم أحب إليهم من أهلهم وأموالهم وأنفسهم..

طالما تملقوا إليه في الأسحار.. وبكوا من خشيته في النهار..

اشتاقت عيونهم إلى رؤيته.. وتقطعت قلوبهم من عظم محبته..

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

اشتاقت نفوسهم لرؤية ربهم حتى استحقوا النظر إليه يوم القيامة فبشرهم الله بذلك وقال ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة..﴾

فكن من هؤلاء.. واحذر أن تكون ممن تعلقت نفوسهم بالعشق المحرم..

فقد تحب (أو تحبين) أحداً لأنه قوام لليل.. صوام للنهار.. أو حافظ للقرآن.. أو داع إلى الله.. فهذه المحبة لله.. وصاحبها مأجور عليها.. والمتحابون في الله يوم القيامة يكونون على منابر من نور يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء..

وقد تحب شخصاً (أو تحبينه).. لجمال وجهه.. أو رقة كلامه.. أو تغنجه ودلاله.. دون النظر إلى صلاحه وطاعته لله.. فهذه المحبة لغير الله.. ولا تزيدك من الله إلا بعداً.. وقد هدد الله أصحابها فقال: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين..﴾ وقال: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً..﴾ بل إن هؤلاء المتحابين الذين اجتمعوا على ما يغضب الله يعذبون يوم القيامة.. وينقلب حبهم إلى عداوة.. كما قال تعالى: ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار..﴾

وان من أكبر أسباب وقوع هذا العشق المحرم..

النظر إلى الأفلام الهابطة.. التي يختلط فيها الرجال بالنساء.. حتى يقع في قلب الناظر إليها أن الاختلاط أمر عادي.. فيبدأ في البحث عن معشوق أو معشوقة..

وأعظم من ذلك إذا كانت هذه الأفلام مما يقع فيها مشاهد الحب والغرام.. واللمسات والقبلات.. فإذا رآها الشباب والفتيات حركت فيهم الساكن.. وأظهرت الباطن.. ونزعت الحياء.. وقربت البلاء..

وكذلك من رأى صور الفجور.. ومشاهد المجون.. فلابد أن تندفع إلى نفسه إلى تقليدها في كل حين.. في السوق.. وعلى فراشه.. وفي مكتبه.. ولايزال الشيطان يدعوه إليها.. لذلك لما أمر الله تعالى بحفظ الفروج عن الزنا.. أمر



قبل ذلك بغض البصر فقال سبحانه ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم..﴾ وفي الحديث «العين تزني وزناها النظر»[١١]..

ومن أسباب التعلق بهذا العشق..

الاستماع إلى الأغاني.. وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الغناء رقية الزنا».. يعني طريقه ووسيلته..

عجباً.. هذا يقوله ابن مسعود لما كان الغناء يقع من الإماء المملوكات. يوم كان الغناء بالدف والشعر الفصيح.. يقول رضي الله عنه: هو رقية الزنا.. فماذا يقول لو رأى زماننا وقد تنوعت الأصوات والألحان.. وأصبحت الأغاني تسمع في السيارة والطائرة والبر والبحر.. وكم في الأغاني من شرور.. فما يذكر فيها إلا الحب والغرام.. والعشق والهيام..

بالله عليك هل سمعت مغنياً غنّى في الحث على غضّ البصر؟

أو كفالة الأيتام؟

أو الصلاة في المسجد؟

أو التوبة؟

ما سمعنا عن شيء من ذلك.. بل كل إناء بما فيه ينضح.. امتلأ قلب هذا المغني بالشهوات.. وتعلق بالملذات.. فبدأ ينفق مما عنده.. ويلغ في قلوب الشباب والفتيات.. ويدعوهم إلى الولوغ فيما ولغ فيه.. وإذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً.. إحداهن بالتراب..

إن تعلق الشاب بشاب مثله.. وافتتان الفتاة بفتاة مثلها.. لهو الخطر الأكبر.. والخطب الأعظم..

ومن تساهل بالنظر الحرام.. أوقعه ذلك في أحد الخطرين.. إما عشق النساء.. أو عشق المردان.. ولايزال الشيطان به حتى يقع في الفاحشة عياذاً بالله..

وقد ذمّ الله هذه الفاحشة الشنيعة وجعلها قرينة الشرك والقتل فقال: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون..﴾ ثم ذكر الله تعالى عذاب الزناة يوم القيامة فقال: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً * إلا من تاب..﴾

وكم من فتاة ضيعت شبابها.. وفضحت أهلها.. أو قتلت نفسها بسبب ما تسميه العشق.. وكم من فتى أشغل أيامه وساعاته.. وأضاع أنفاس حياته.. فيما يسميه العشق.. ونحن في زمن كثرت فيه المغريات.. وتنوعت الشهوات..

وترك المفسدون في قنواتهم ومجلاتهم.. مخاطبة العقول والأفهام.. ولجئوا إلى مخاطبة الغرائز وإثارة الحرام.. فأصبح الشباب والفتيات حيارى.. بين مجلات تغري.. وشهوات تسري.. وقنوات تعري.. وأفلام تزين وتجرئ.

---

(١١) متفق عليه.

ودواء ذلك كله الصحبة الصالحة.. وغض البصر.. والنكاح الحلال.. وملء وقت الفراغ بما ينفع.. ولاشك أن الرفاهية الزائدة.. ونقص الإيمان تجرّ إلى هذه التوافه..

قال الشيخ:

كان ابن عم لي يسكن في إحدى الدول المجاورة .. التي يظهر فيها السفور .. وكان هذا الرجل غنياً منعماً.. وكبر أولاده وبناته.. فلما وصلت إحدى بناته إلى المرحلة الجامعية طلبت منه أن يشتري لها سيارة تنتقل بها كيفما شاءت.. فغضب وقال: السيارة مفتاح شر.. وقد يتعرض لك الفساق.. وتجعلك تختلطين بالرجال في الشارع وإدارة المرور وغير ذلك.. وأنا وإخوانك لم نقصر معك..

فأصرت الفتاة.. وبكت.. حتى اشترى لها السيارة.. وبدأت تذهب وتجئ كيفما شاءت.. فلما أنهت سنة من الجامعة وجاءت العطلة..

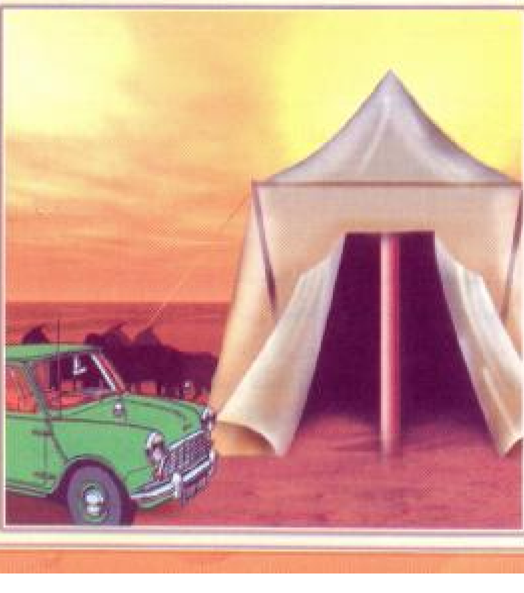
قالت لأبيها: أريد أن أقضي الاجازة في بريطانيا مع صديقاتي لدراسة اللغة الإنجليزية!!

فعجب الأب المسكين وقال: في بريطانيا!!.. لا ضرورة لذلك..

فأصرت عليه وتباكت..

فقال لها: نعم تذهبين.. ولكن أذهب معك أنا .. أو أخوك..

فغضبت.. وقالت: أنا واثقة في نفسي.. ولا يمكن أن أتعرض لمكروه.. فأبى عليها.. لكنها تعرف دواءه.. بكت.. وأقفلت على نفسها في غرفتها.. وأضربت عن الطعام والشراب.. حتى رق لها قلبه.. ودمعت عينه.. **وقال: أخرجي من عزلتك وسوف تسافرين إلى بريطانيا..** فرحت الفتاة.. وبدأت تجمع حقائبها.. وترتب ملابسها.. لكن الأب في هذه المرة طفح عنده الكيل.. وعلم أنه لابد أن يجد حلاً حازماً.. فماذا فعل؟



رفع الأب سماعة الهاتف واتصل بأحد أقاربهم..

يسكن في مدينة تقع على طريق مكة المكرمة.. اتصل به وقال له: يا فلان!! هل تذكر فلان ابن عمنا.. الذي يسكن في خيمة في البر؟

قال صاحبه: نعم.. وهو لايزال على حاله في البر.. يرعى الغنم.. وعنده إبل.. ويشتغل ببيع السمن.. والإقط.. فسأله صاحبنا: هل تزوج؟

قال: لا.. ومن يزوجه.. وهو أعرابي في الصحراء.. لا يقر له قرار.. يرحل بخيمته كل حين.

فقال: حسناً.. أنا آت إلى مكة بعد يومين.. وسوف أتغدى' عندك وأريدك أن تدعو فلاناً ليتغدى' معنا..

قال: حسناً.. ثم ودعه وأقفل الهاتف..

وجاء الأب إلى ابنته وقال: سوف نذهب للعمرة بالسيارة.. ثم تسافرين إلى بريطانيا بالطائرة عن طريق مطار جدة..

فلما كان يوم السفر.. جمعوا الحقائب.. وسارت العائلة في أمان الله..

فلما انتصف بهم الطريق إلى مكة توجه الأب إلى مدينة صاحبه وقال لأهله: نرتاح قليلاً في بيت فلان.. ونتغدى.. ثم نكمل السفر..

وصل إلى بيت صاحبه.. فدخلت النساء عند النساء.. ودخل هو عند الرجال.. والتقى بصاحبه راعي الإبل والغنم.. فتحدث معه طويلاً.. ثم عرض عليه أن يزوجه ابنته!! فوافق فوراً.. ثم دعوا مأذوناً شرعياً.. وعقد النكاح..

ثم خرج الأب ونقل حقائب البنت.. العروس.. من سيارته إلى سيارة زوجها..

ثم صاح بأهله ليخرجوا.. فخرجت زوجته بأطفالها.. وخرجت البنت الرقيقة.. تنفض يديها من غبار المنزل.. وتتأفف من ذبابه وحشراته..

فلما ركبت مع أبيها.. زف إليها بشرى زواجها.. فظنت أنه يمزح..

لكنه بدا جاداً.. وأمرها بالنزول مع زوجها.. فأبت.. وبكت.. وتعلقت بأمها..

فتوجه الأب إلى الزوج وقال: زوجتك العروس تستحي أن تأتي لتركب معك.. فتعال أنت وخذها..

فنزل الرجل فرحاً مستبشراً.. متغنجاً متدللاً.. وفتح باب السيارة.. وحملها معه.. ثم أركبها في سيارته.. وشق الصحراء.. وغاب بين كثبان الرمال.. ومضى بها إلى خيمة السعادة..

أما الأب فقد كان حازماً.. تغلب على بكاء الأم وتوسلاتها.. ورجع ببقية العائلة إلى بلده..

ومضى أسبوع.. فاتصل الأب بصاحبه الذي في المدينة وسأله عن أخبار صهره الجديد وابنته.. فقال: قد رأيتهما في السوق قبل يومين وهما بخير..

ومضت الأيام والشهور.. والأب يتلقى الأخبار من صاحبه هاتفياً.. فلما مضت سنة.. اتصل به صاحبه وبشره بأن ابنته قد رزقت بغلام..

وبعد شهور.. ذهبت العائلة لزيارة ابنتهم.. ووصلوا إلى مدينة صاحبهم.. واصطحبوه معهم..

وشقوا الصحراء.. ومشوا بين الكثبان.. وبدؤوا يبحثون عن ابنتهم وخيمتها..

وبينما هم يبحثون.. إذ أقبلوا على خيمة عند بابها امرأة حامل وبجانبها

طفل صغير.. فلما اقتربوا.. فإذا هي ابنتهم.. فرحبت.. وحيت.. وصاحت بزوجها.. وجاء وأكرمهم..

فكان زواجها من هذا الرجل خيراً لها من جامعتها. ومن بريطانيا..

مع ملاحظة أن تزويج البنت بغير رضاها لا يجوز.. ولكني أوردت هذه الحادثة لبيان عاقبة الترف والفراغ على الشباب والفتيات.

وقد يزين الشيطان للفتى أو للفتاة أنه جميل جذاب.. وأن الطرف الآخر معجب به.. فإذا مشى في الأسواق.. أو ضاحك الرفاق.. ظن أنه يلفت الأنظار.. ويفتن الواقف والمار.. فيدفعه ذلك للتعرض والتبذل.. ويحتال عليه أصحاب الشهوات حتى يعبثوا به (أو بها) فإذا قضوا شهواتهم منه (أو منها).. ذهبوا يبحثون عن فريسة أخرى..

قال الشيخ:

ألقيت محاضرة في أحد المساجد.. فلما خرجت من المسجد فإذا بشاب ينتظرني عند سيارتي.. جسمه نحيل.. ووجهه شاحب.. ومظهره مخيف..

فلما رأيته فزعت.. وقلت له: ماذا تريد؟!

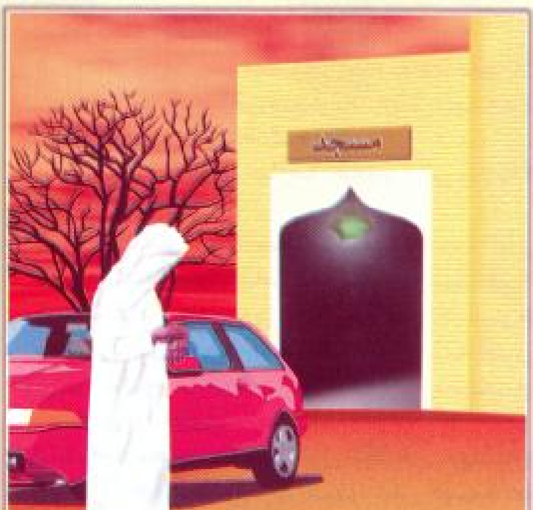
فقال لي: أنا يا شيخ.. قررت أن أتوب..

فظننت أنه سيتوب من تهريب المخدرات.. أو قطع الطريق.. أو القتل.. إذ أن مظهره قد يوحي بذلك..

لكنني سألته وقلت: تتوب من ماذا؟

فقال: من مغازلة الفتيات؟!

فعجبت.. لكني سكت.. وقلت له مشجعاً: نعم.. الحمد لله على أن وفقك الله للتوبة.



فصاح بي قائلاً: ولكن هناك أمر يمنعني من التوبة!!

قلت له: ما هو؟

فقال: إذا مشيت في السوق.. البنات مايتركتني.. يغازلنني في كل زاوية..!!

فتأمل كيف خدعه الشيطان..

فعجباً لمسلم (أو مسلمة) يستغويه الشيطان بنظرة أو كلمة.. وهو يعلم أنه سوف يحاسب على الخطرات والنظرات.. ومن

أعظم صفات أهل الجنة الصبر عن الشهوات.. لذا يقال لهم يوم القيامة: ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.. ﴾ أما أهل النار فيقال لهم: ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون.. ﴾
فهل تكون من الصابرين عن الشهوات لتفوز بجنات النعيم..

الوصية السابعة

احرص على تعلم أحكام الدين وتعليمها.. وهذه عبادة عظيمة.. بل هي وظيفة الأنبياء الذين هم أرفع أهل الجنة منازل.. ولشرف العلم وعلو مرتبته قال الله لنبيه: ﴿ وقل رب زدني علماً.. ﴾ وما أمر الله رسوله بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم.. ومن نظر في حال أكثر الناس وجد عندهم من العزوف عن العلم وتعلمه.. وحضور مجالسه.. وقراءة كتبه.. ما أغرق كثيراً منهم في لجج الجهل والسفاهة..
أوقفني مرة شاب يدرس في المرحلة الجامعية وقال: عندي سؤال! قلت: ما سؤالك؟ فقال: إذا أردت أن أصلي النافلة كالوتر والضحى هل يجب عليّ أن أتوضأ.. أم أصلي من غير طهارة؟!
فعجبت من سؤاله وظننت أنني لم أفهم.. وطلبت منه إعادة السؤال.. فأعاده كما هو!!
فقلت: طبعاً يجب عليك أن تتوضأ.. عندك شك في هذا؟!!
فقال: هذه الصلاة تبرع مني.. فلماذا أتوضأ لها..؟!
وقال الشيخ:
ألقيت كلمة في أحد المساجد حول أحكام الطهارة الكبرى والصغرى.. فلما خرجت أمسك بي شاب جامعي وقال: ذكرت ياشيخ أن من استيقظ من نومه وهو جنب.. بسبب الاحتلام.. فإنه يلزمه الغسل..
قلت له: نعم.. صحيح..
فصاح بي وقال: هل الذي يلزمه وضوء فقط كوضوء الصلاة.. أم غسل كامل..؟!
قلت: بل يلزمه غسل كامل.. يعمم جسده كله بالماء.. فإن لم يفعل لم يرتفع حدثه.. وبالتالي لا تصح صلاته..
فقال: والله إني منذ سنوات إذا أصابتني جنابة في النوم اكتفيت بالوضوء كوضوء الصلاة.. ولم أعلم بوجوب الغسل في هذه الحالة إلا الآن..!!
ولا عجب أن ترد مثل هذه الأسئلة في زمن قل علماؤه.. وكثر جهاله.. بل قد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يقل العلم.. ويكثر الجهل.. ففي الحديث: « **إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل** »[١٢]، وقال ﷺ: « **إن بين يدي الساعة لأياماً يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل..** »[١٣].

---
(١٢) متفق عليه. (١٣) متفق عليه.

ومن نظر في مجالس كثير من الناس اليوم.. وجد أنها تشغل بمعصية من سماع أو نظر محرم.. أو بأمور تافهة.. وأحاديث لا تفيد في دين ولا دنيا..

قال الشيخ:

جلست مرة في مجلس فيه أكثر من أربعين رجلاً.. فكثر لغطهم.. حتى ارتفعت أصواتهم.. ومضى قرابة ساعة على ذلك..

فحاولت إسكاتهم فشق عليّ.. وكان الذي بجانبي من أكابرهم.. فالتمست منه أن يسكتهم فصاح بهم فسكتوا..

فقلت لهم:

منذ أن جلسنا وأنتم تتحدثون في أمور لا أدري هل تكتب في صحيفة الحسنات أم السيئات.. ولكن أسألكم سؤالاً..

كلكم تحفظون سورة ﴿قل هو الله أحد..﴾؟

فتصايحوا: نعم.. نعم..

فقلت: ما معنى ﴿الله الصمد..﴾؟

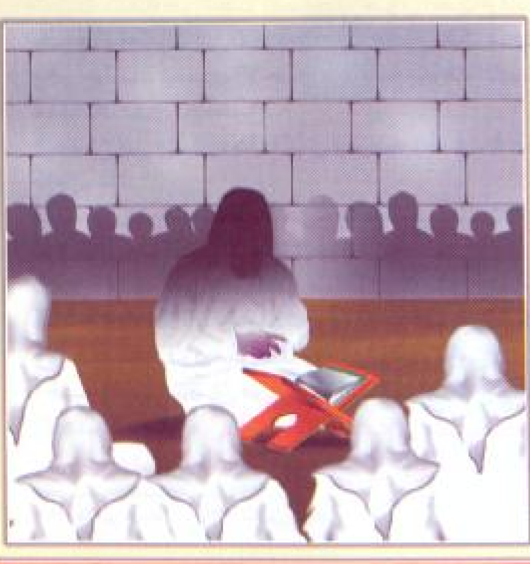
فسكتوا جميعاً.. فقلت: تحفظون سورة الفلق؟

قالوا: نعم.. نعم..

فقلت: ما معنى ﴿غاسق إذا وقب..﴾؟!.. فسكتوا..

فقلت: لو أنكم أثناء جلوسكم قرأتم تفسير آية.. أو شرح حديث.. أو تعلمتم حكماً من أحكام الدين لكان خيراً لكم وأقوم..

وقد قال أبو القاسم ﷺ: «إيما قوم جلسوا.. فأطالوا الجلوس.. ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله.. ويصلوا على نبيه ﷺ.. إلا كانت عليهم من الله ترة (أي ثأر وعقوبة) إن شاء الله عذبهم.. وإن شاء غفر لهم..»[١٤].



والعجب من أقوام يشغلون مجالسهم بما لا يفيد فإذا تكلم من يفيدهم.. أو يلقي عليهم كلمة.. أعرضوا عنه وشعروا بالملل..

واشتاقوا إلى الاشتغال بغير ذلك من التوافه..

ويخشى على هؤلاء أن يكون بهم شبه ممن قال الله فيهم: ﴿وإذا ذكر الله

---

(١٤) رواه الترمذي والحاكم واللفظ له، وهو حديث حسن.

وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ..﴾
ذكر أن خالد بن صفوان - وهو أحد البلغاء الأدباء - كان يعمر مجالسه بتذاكر الأخبار والتاريخ والأدب..
فقال له رجل يوماً: أيها الأمير.. ما لي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار.. وتتدارسون الآثار.. وتتناشدون الأشعار.. مللت ووقع عليّ النوم؟!
فقال له خالد: لأنك حمار في صورة إنسان..
نعم إنّ الذي همه في دنياه الأكل والشرب والنوم.. ويتغافل عن طلب العلم.. وتعلم الدين.. هو أشبه بالدواب.. وأقرب إلى الخراب.. حياته محدودة.. وأنفاسه معدودة.. وأوقاته ضائعة..
فانتبه أن تمضي حياتك سدى..
ولتكن أنت المبادر إلى إفادة الناس في مجالسهم.. أحضر معك كتاباً نافعاً واقرأ عليهم منه ولو لمدة عشر دقائق تزكون بها مجلسكم.. وتطهرون نفوسكم..
قال إبراهيم التيمي:
أتيت أبا يوسف القاضي أعوده في مرض موته فوجدته مغمى عليه..
فلما أفاق قال لي: يا ابراهيم.. أيهما أفضل للحاج في رمي الجمار.. أن يرميها الرجل راجلاً أو راكباً..
فقلت: راكباً.. فقال: أخطأت..
قلت: ماشياً.. قال: أخطأت..
قلت: قل فيها.. رضي الله عنك..؟!
قال: أما ما يوقف عنده للدعاء.. فالأفضل أن يرميه راجلاً.. وأما ما لا يوقف عنده. فالأفضل أن يرميه راكباً..
فقلت: نفع الله بعلمك.. وجزاك عني خيراً.. ثم قمت من عنده..
فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه.. وإذا هو قد مات رحمه الله..
وقال الفقيه الوالجي:
دخلت على أبي الريحان البيروني وهو يجود بنفسه.. وقد حشرج نفسه.. وضاق به صدره.. فتذكر وهو في تلك الحالة مسألة في المواريث.. كنت قد حدثته بها.. فقال لي:
كيف قلت لي يوماً حساب الجدات من جهة الأم؟!
فقلت له - إشفاقاً عليه - : أفي هذه الحالة؟!
فقال لي: ياهذا!! أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة.. ألا يكون خيراً من أن أموت وأنا جاهل بها؟!..
فأعدت عليه تلك المسألة.. فحفظها..
ثم خرجت من عنده فلما صرت في الطريق سمعت الصراخ عليه..
فاتعظ بهذه الهمم العلية.. وابك على تقصيرك ودنو همتك.. واستدرك ما فرط من عمرك.. وتدارك أوقاتك وأنفاسك أن تذهب سدى..

عود نفسك أن لا يمر يوم إلا وقد قرأت صفحات من كتاب نافع.. أو تعلمت تفسير آية.. أو معنى حديث..

وإذا مر بك يوم ولم تكتسب تقى ولم تستفد علماً فما ذاك من عمرك..

وطلب العلم من أسباب دخول الجنة. قال ﷺ: «.. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(١٥).

الوصية الثامنة

أهل الجنة.. عظموا ربهم حق التعظيم.. قاموا على أقدام الخوف.. فخافوا من ويلات الذنوب.. وتركوا لذة عيشهم.. في سبيل أن يلقوا ربهم وهو راض عنهم.. ماعز بن مالك رضي الله عنه..

كان شاباً من الصحابة.. متزوج في المدينة..

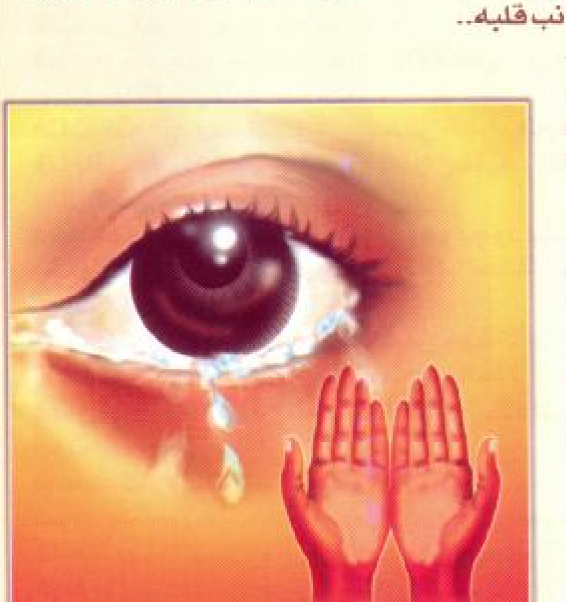
وسوس له الشيطان يوماً.. وأغراه بجارية لرجل من الأنصار..

فخلا بها عن أعين الناس.. وكان الشيطان ثالثهما.. فلم يزل يزين كلاً منهما لصاحبه حتى زنيا..

فلما فرغ ماعز من جرمه.. تخلى عنه الشيطان.. فبكى وحاسب نفسه.. ولامها.. وخاف من عذاب الله.. وضاقت عليه حياته.. وأحاطت به خطيئته.. حتى أحرق الذنب قلبه..

فجاء إلى طبيب القلوب..

ووقف بين يديه وصاح من حر ما يجد.. وقال: يا رسول الله.. إن الأبعد قد زنا.. فطهرني..



فأعرض عنه النبي ﷺ..

فجاء من شقه الآخر فقال: يا رسول الله.. زنيت.. فطهرني..

فقال ﷺ: ويحك ارجع.. فاستغفر الله وتب إليه..

فرجع غير بعيد.. فلم يطق صبراً..

فعاد إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله طهرني..

---

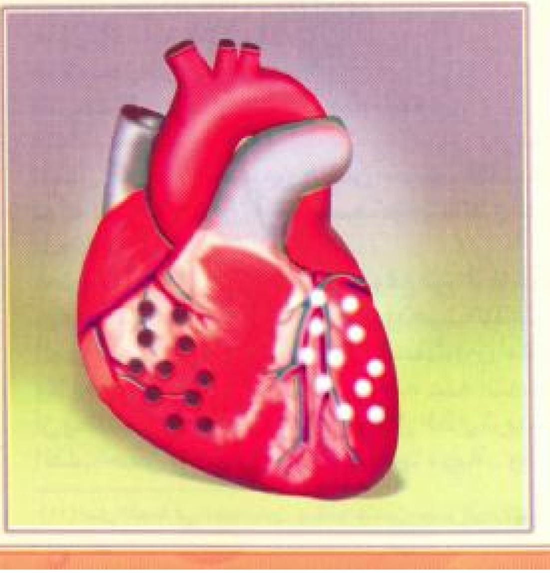
(١٥) رواه مسلم.

فقال رسول الله ﷺ: ويحك ارجع.. فاستغفر الله وتب إليه..
قال: فرجع غير بعيد.. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني..
فصاح به النبي ﷺ.. وقال: ويلك.. وما يدريك ما الزنا؟..
ثم أمر به فطرد.. وأخرج..
ثم أتاه الثانية.. فقال: يا رسول الله، زنيت.. فطهرني..
فقال: ويلك.. وما يدريك ما الزنا؟..
وأمر به.. فطرد وأخرج..
ثم إتاه.. وأتاه.. فلما أكثر عليه..
سأل رسول الله ﷺ قومه: أبه جنون؟
قالوا: يا رسول الله.. ما علمنا به بأساً..
فقال: أشرب خمراً؟ فقام رجل فاستنكهه وشمه فلم يجد منه ريح خمر..
فالتفت إليه النبي ﷺ وقال: هل تدري ما الزنا؟
قال: نعم.. أتيت من امرأة حراماً، مثل ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً..
فقال ﷺ: فما تريد بهذا القول؟!
قال: أريد أن تطهرني..
فقال ﷺ: نعم.. فأمر به أن يرجم.. فرجم حتى مات.. رضي الله عنه..
فلما صلوا عليه ودفنوه.. مر النبي ﷺ على موضعه مع بعض أصحابه..
فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه:
انظر إلى هذا.. الذي ستر الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب..
فسكت النبي ﷺ ثم سار ساعة.. حتى مر بجيفة حمار.. قد أحرقته الشمس حتى انتفخ وارتفعت رجلاه..
فقال ﷺ: أين فلان وفلان؟
قالا: نحن ذان.. يا رسول الله..
قال: انزلا.. فكلا من جيفة هذا الحمار..
قالا: يانبي الله!! غفر الله لك.. من يأكل من هذا؟
فقال ﷺ: ما نلتما.. من عرض أخيكما آنفاً.. أشد من أكل الميتة.. لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم.. والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها(١٦).
فطوبى.. لماعز بن مالك.. نعم وقع في الزنا.. وهتك الستر الذي بينه وبين ربه.. لكنه لما فرغ من معصيته وذهبت اللذات.. بقيت الحسرات.. وعظمت السيئات.. فندم.. وتاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم..
ولا يعني كلامنا عن ماعز رضي الله عنه أننا نطلب من كل من وقع في كبيرة أن يطالب بإقامة الحد عليه.. لكن الذي نريده هو أن لا تتمكن المعصية من القلب حتى يألفها ولا يحدث منها توبة.. وقد أخبر النبي ﷺ عن أحوال

(١٦) أصل القصة في الصحيحين، وسقتها هنا من مجموع رواياتها في الصحيحين وغيرهما.

القلوب فقال: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً.. فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء.. وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء.. حتى تصير على قلبين..
على أبيض مثل الصفا.. فلا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض..
والآخر أسود مرباداً.. كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»[١٧].

فأين تلك القلوب البيضاء التي ترتجف إذا وقعت في المعصية.. فتسارع إلى التوبة والإنابة.. فإن التساهل بالذنوب هو طريق السوء والخذلان.. في الدنيا والآخرة.. وأهل الجنة إذا ذكروا تذكروا..
هل سمعت عن القعنبي؟.. الإمام العالم المحدث..
كان في شبابه يشرب النبيذ ويصحب الفساق..
فدعا أصحابه يوماً ليسكروا عنده.. وقعد على الباب ينتظرهم..
فمر شعبة بن الحجاج الإمام المحدث والناس خلفه يهرعون..
فعجب القعنبي من تزاحمهم على هذا الشيخ.. فسأل أحدهم وقال: من هذا؟
قال: الإمام شعبة بن الحجاج..
فقال مستهزئاً: وأيش شعبة؟!
قال: محدث.. عالم..
فلما سمع القعنبي كلمة (محدث) قام إلى شعبة وقال له: - مستهزئاً - : حدثني.. (يعني مادمت محدثاً فحدثني).
فنظر إليه شعبة وقال: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك..
فغضب القعنبي.. وأشهر سكينه وقال: تحدثني أو أطعنك بسكيني؟!
فالتفت إليه شعبة وقال:
حدثنا منصور.. عن ربعي.. عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[١٨].
فلما سمع القعنبي هذا



---

(١٧) رواه مسلم.
(١٨) رواه الترمذي وهو حديث حسن. ومعنى الحديث، أنك إذا تجرأت على المعاصي ولم تخف أو تستح من خالقك الذي يراك ويراقبك. فافعل ما شئت من المعاصي فسوف تحاسب به يوم القيامة.

الحديث.. وافق منه قلباً صافياً.. وتذكر ما يحارب به ربه منذ سنين.. ورمى سكينه ورجع إلى منزله.. وقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهراقه.. ثم استأذن أمه بالسفر إلى المدينة لطلب العلم.. ولازم مالك بن أنس.. حتى حفظ عنه وأصبح من كبار العلماء المحدثين.. وسبب هدايته موعظة عابرة.. لكنها صادفت قلباً حياً..

الوصية التاسعة

هل أدلك على عبادة من أعظم العبادات.. كان رسول الله ﷺ يفعلها على جميع أحواله.. بل أمر الله تعالى المؤمنين بفعلها بعد الصلاة.. وبعد الصيام.. وبعد الحج.. بل وأثناء القتال.. وقبل الطعام وبعده.. وقبل النوم وبعده.. وقبل دخول الخلاء وبعده.. وهي مع ذلك لا تحتاج إلى استقبال القبلة.. ولا ستر العورة.. ولا إلى فعلها في جماعة.. ولا السفر لأجلها.. ولا إنفاق ريال واحد لأجلها..

هذه العبادة.. يستطيع فعلها الكبير والصغير.. والغني والفقير.. والرجل والمرأة.. والعالم والجاهل.. والمشغول والفارغ..

هل عرفت هذه العبادة ؟؟

هي التي مدح الله تعالى الصالحين والصالحات بأنهم يفعلونها دائماً فقال: ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيما .. ﴾

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟! قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى»[١٩].. قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله.. وكان أبو هريرة رضي الله عنه يسبح في اليوم والليلة أكثر من أثنى عشر ألف تسبيحة!! ويقول: هذا التسبيح أفتك به نفسي من النار.. ومن أفضل الأذكار.. قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة.. قال ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت»[٢٠] وقال ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[٢١].. فكن ذاكراً لله على جميع أحوالك.. نعم.. قد تقصر في قيام الليل.. أو صيام النافلة.. أو الصدقة.. فانتبه أن تتكاسل نفسك عن الذكر.. وهو لا يكلفك شيئاً.. وقد قال ربك عز وجل: ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون.. ﴾

---

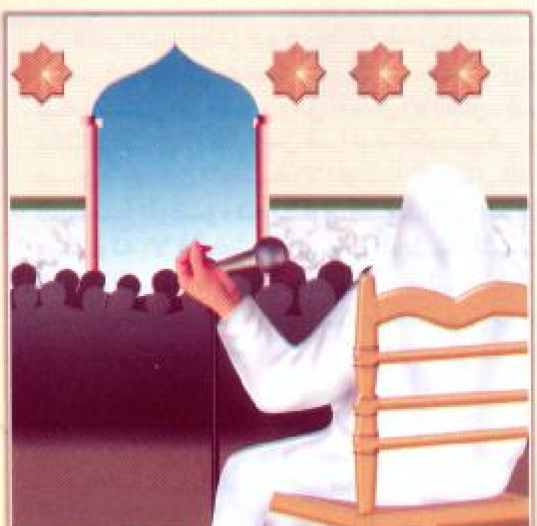
(١٩) رواه الترمذي وابن ماجة، وهو صحيح.

(٢٠) رواه النسائي وابن السني، وهو صحيح.

(٢١) رواه مسلم.

الوصية العاشرة

ما هو مصدر تلقي الدين بالنسبة إليك؟!.. سؤال مهم..
لاحظت أن بعض الناس يتتبعون الرخص.. ويفرحون بمن يفتيهم بما يوافق أهواءهم.. بل بعضهم إذا سمع فتوى توافق هواه.. طار بها فرحاً ومدح المفتي قائلاً: هذا هو الشيخ العالم.. هذا هو الشيخ الذي يفهم الواقع.. هذا الذي يعيش جراح المسلمين.. يقول هذا عن الفتوى وإن كانت تخالف الكتاب والسنة.. أو فيها تمييع للدين.. أو تساهل بالنصوص الشرعية.. أو تحايل للبحث عن الرخص والأقوال الضعيفة.. فالمهم أنها فتوى.. فتوى.. إن الله سيسألك يوم القيامة سؤالاً واحداً محدداً ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين..﴾
لن يسألك عن الشيخ فلان ولا فلان.. وإنما عن اتباع الكتاب والسنة.. فقط..
أعيد عليك السؤال المهم مرة أخرى: ما هو مصدر تلقي الدين بالنسبة إليك؟!
هل كل من لبس جبة أو عمامة وظهر في القنوات الفضائية.. وبدأ بـ الحمد لله.. وختم بـ والله أعلم.. يكون مفتياً؟!..
هل كل أحد يصلح أن يكون مصدراً لتلقي الدين؟!
إن المقياس الذي ينبغي أن تحكم به على الشيخ المفتي هو أن تكون فتاواه موافقة للكتاب والسنة.. ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله..﴾
قال الشيخ:
ألقيت محاضرة في أحد المساجد.. فجاء إليّ أحدهم وقال:
يا شيخ لماذا تشدد في مسألة الاختلاط..
والشيخ الدكتور فلان في قناة (...) يقول: إن الاختلاط بين الرجال والنساء جائز في الولائم والحفلات إذا حسنت النية.. وكان النظر بغير شهوة؟!
وألقيت محاضرة في مكان آخر فجاء إليّ أحدهم.. وقال:
ياشيخ ما حكم الربا؟
قلت: حرام!! بجميع صوره وأشكاله..



فقال: إن الشيخ فلان في قناة (...) يقول: إنه ضرورة من ضرورات العصر.. ولا بأس به..

وجاء إليّ ثالث مستفتياً عن حكم المعازف والموسيقى.. ثم قال: قد أفتى الشيخ فلان أنها حلال فلا تجعل دينك عرضة لكل من أراد أن ينتقصه أو يفسده عليك.. فإنك ستحاسب وحدك.. وتسأل وحدك ﴿ماذا أجبتم المرسلين..﴾

واحذر أن تكون ممن يتبعون الأئمة المضلين.. وقد قال ﷺ: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»[٢٢]..

وخلاصة القول.. أن كلام هؤلاء المفتين المتساهلين بالدين لا ينطلي إلا على الأغبياء والجهال.. أما العقلاء فإنهم لا يطيرون خلف كل ناعق..

واستمع إلى هذين المثالين الطريفين..

الأول: غياث بن إبراهيم[٢٣].. كان يتظاهر بالعلم.. ويزعم أنه يحفظ الأحاديث ويرويها.. وكان له وجاهة ولسان.. فكان الناس يجتمعون حوله فيحدثهم بالأعاجيب وهم يصدقونه..

رآه رجل يوماً على فعل لا يليق.. فقال له: ألا تستحي من الناس؟! فقال: أين هم الناس؟!!

قال: هؤلاء الذين اجتمعوا لك..

فقال: تعني هؤلاء؟! هؤلاء ليسوا ناساً.. هؤلاء بقر.. وإذا أردت أن أثبت لك فتعال معي.. ثم ذهبا.. فجلس غياث في مجلسه وبدأ يحدث الناس عن الجنة ووصفها.. وهم يستمعون منصتين.. فلما رأى تفاعلهم معه.. اخترع حديثاً من عقله وقال لهم: قال ﷺ: من استطاع منكم أن يلمس أرنبة أنفه بلسانه دخل الجنة؟! فبدأ الناس - فوراً - يخرجون ألسنتهم ويحاولون لمس أرنبة الأنف؟!

فالتفت غياث إلى صاحبه وقال له: ألم أقل لك إنهم بقر؟!!

أما الثاني: فهو رجل كان يدّعي العلم الغزير.. ويجيب عن كل سؤال يردُ عليه.. ولم يقل يوماً في أيّ مسألة: لا أعلم.. بل كان يؤلف أجوبة من عنده.. ويضع لها أدلة.. ويتظاهر بها أمام الناس..

فاجتمع بعض العقلاء يوماً وقالوا: هذا الرجل إما أنه أعلم أهل الأرض، أو أنه يستغل جهلنا.. ثمّ اتفقوا على أن يجروا له امتحاناً.. فألفوا كلمة من ستة أحرف ثمّ جاؤوا إليه وقبلوا رأسه وعظموه.. ثم قالوا: يا شيخ.. مسألة.. مسألة.. أشكلت علينا وأردنا أن تبين لنا جوابها..

فقال: وقعتم على الخبير.. ما هي مسألتكم؟ تختلفون وأنا حي؟!..

فقالوا: ما هو الخنفشار؟!

فقال: الخنفشار نبات ينبت في جنوب اليمن.. فيه مرارة.. وإذا أكلته الناقة

---

(٢٢) رواه الترمذي والدارمي، وهو حديث صحيح.

(٢٣) كان كذاباً وضاعاً للحديث، قال عنه أبو حاتم في كتاب المجروحين: كان يضع العجائب عن الأثبات.

حبس اللبن في ضرعها.. ويستخدمه أهل الإبل إذا أرادوا بيعها.. يغشون به الناس حتى يظن المشتري أن الناقة تدر لبناً كثيراً.. وهي غير ذلك..

ثم اتكئ الشيخ وقال:

والخنفشار مشهور عند العرب.. وقد ذكروه في أشعارهم.. وذكره النبي ﷺ في سنته..

قال الشاعر متغزلاً بمحبوبته:

لقد عقدت محبتكم فؤادي كما عقد الحليبَ الخنفشارُ

ثم تنحنح.. وقال: أما الدليل من السنة.. فقد قال ﷺ ..!!

فتدافعوا إليه.. وتصايحوا.. وقالوا: كفى.. كفى.. اتق الله يا كذاب.. كذبت على لغة العرب.. وكذبت على الشاعر.. وتريد أن تكذب على رسول الله ﷺ..

ثمّ طردوه من بينهم.

فلا تجعل دينك عرضة لكل أحد يوجهه كيف شاء.. فالمفتي لابد أن يتوفر فيه شرطان: العلم، والورع.

أما العلم فهو الاستدلال الصحيح بنصوص الكتاب والسنة..

والورع هو الخوف من الله تعالى في الفتوى.. وعدم الاغترار بالمال أو الجاه.. بل يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم..

وما أقل العلماء الربانيين اليوم..

الوصية الأخيرة

اذكر الوقوف بين يدي الله تعالى واعلم أن هذه الدنيا دار ممر لا مقر. واسأل الله تعالى حسن الخاتمة..



قال صاحبي: كنت أدرس الطب في كندا. ولا أنسى أبداً ذلك اليوم الذي كنت أقوم فيه بالمرور اليومي على المرضى في غرفة العناية المركزة في المستشفى، ولفت انتباهي اسم المريض الذي في السرير رقم (٣)، إنه محمد..

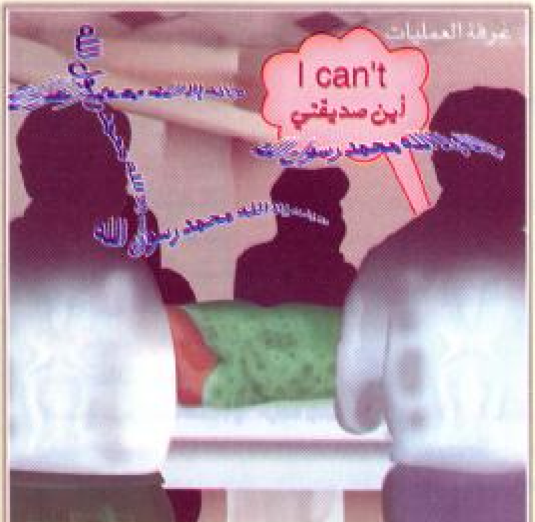
أخذت أتفحص وجهه الذي لاتكاد تراه من كثرة الأجهزة والأنابيب على فمه وأنفه. إنه شاب في

الخامسة والعشرين من عمره مصاب بمرض (الايدز) أدخل إلى المستشفى قبل يومين إثر التهاب حاد في الرئة..
حالته خطرة.. جداً.. جداً..
اقتربت منه.. حاولت أن أكلمه برفق: محمد.. محمد.. إنه يسمعني لكنه يجيب بكلمات غير مفهومة..
اتصلت ببيته فردت عليّ أمه.. يبدوا من لكنتها أنها من أصل لبناني.. عرفت منها أن أباه تاجر كبير يمتلك محلات حلويات.. شرحت للأم حالة ابنها.. وطال الكلام.. وأثناء حديثي معها بدأت أجراس الإنذار تتعالى بشكل مخيف من الأجهزة الموصلة بذلك الفتى مؤشرة على هبوط حاد في الدورة الدموية.. ارتبكت في حديثي مع الأم.. صرخت بها: لابد أن تحضري الآن..
قالت: أنا مشغولة في عملي وسوف أحضر بعد انتهاء الدوام..!!
قلت: عندها ربما يكون الأمر قد فات.. وأغلقت السماعة..
بعد نصف ساعة أخبرتني الممرضة أن أم الفتى وصلت وتريد مقابلتي..
قابلتها.. امرأة في متوسط العمر لاتبدو عليها مظاهر الاسلام.. رأت حالة ابنها فانفجرت باكية.. حاولت تهدئتها وقلت: تعلقي بالله تعالى واسألي له الشفاء، قالت بذهول: أنت مسلم؟!!
قلت: الحمد لله !! قالت: نحن أيضاً مسلمون..
قلت: حسناً.. لماذا لا تقفين عند رأسه وتقرئين عليه شيئاً من القرآن لعل الله أن يخفف عنه..
ارتبكت الأم.. ثم انخرطت في بكاء مرير.. وقالت: هاه! القرآن؟! لا أعرف!! لا أحفظ شيئاً من القرآن!!
قلت: كيف تصلين..؟ ألا تحفظين الفاتحة؟!!
فغصت بعبراتها وهي تقول: نحن لا نصلي إلا في العيد منذ أن أتينا إلى هذا البلد..
سألتها عن حال ابنها.. فقالت: كان حاله على ما يرام، حتى تردت بسبب تلك الفتاة..
قلت: هل كان يصلي؟
قالت: لا، لكنه كان ينوي أن يحج في آخر عمره (!!)..
بدأت أجهزة الإنذار ترتفع أصواتها أكثر وأكثر.. اقتربت من الفتى المسكين..
إنه يعالج سكرات الموت..
الأجهزة تصفر بشكل مخيف..
الأم تبكي بصوت مسموع..
الممرضات ينظرن بدهشة..
اقتربت من أذنه وقلت: لا إله إلاالله.. قل: لا إله إلا الله.. الفتى لا يستجيب.. قل: لا إله إلا الله.. إنه يسمعني.. بدأ يفيق وينظر إليّ.. المسكين يحاول بكل جوارحه.. الدموع تسيل من عينيه.. وجهه يتغير إلى السواد..

قل: لا إله إلا الله.. قل: لا إله إلا الله..
بدأ يتكلم بصوت متقطع: آه.. آه.. ألم شديد.. آه.. أريد مسكناً للألم.. آه.. آه..
بدأت أدافع عبراتي وأتوسل إليه قل: لا إله إلا الله.. بدأ يحرك شفتيه..
فرحت.. يا إلهي سيقولها.. سينطقها الآن.. **لكنه قال: (I Cant .. I Cant)**
أين صديقتي أريد صديقتي .. لا أستطيع .. لا أستطيع.. الأم تنظر وتبكي..
النبض يتناقص.. يتلاشى..
لم أتمالك نفسي.. أخذت أبكي بحرقة.. أمسكت بيده.. عاودت المحاولة:
أرجوك.. قل: لا إله إلا الله.. لا أستطيع.. لا أستطيع..
توقف النبض.. انقلب وجه الفتى أسوداً.. ثم مات.. انهارت الأم.. وارتمت على صدره تصرخ.. رأيت هذا المنظر فلم أتمالك نفسي.. نسيت كل الأعراف الطبية.. انفجرت صارخاً بالأم: أنت المسئولة.. أنت وأبوه.. ضيعتم الأمانة ضيعكم الله.. ضيعتم الأمانة ضيعكم الله.. **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون..﴾**

وأخـــــيراً

فإن أعظم ما يمنع العبد من دخول الجنة هو الشرك بالله.. فهو أعظم المحرمات على الإطلاق.. قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله..»[٢٤]. وكل ذنب يمكن أن يغفره الله إلا الشرك فلابد له من توبة مخصوصة.. قال تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً..﴾**



ومن مظاهر هذا الشرك المنتشرة في كثير من بلاد المسلمين:
عبادة القبور، واعتقاد أن الأولياء الموتى يقضون الحاجات ويفرجون الكربات، والاستعانة والاستغاثة بهم، والله يقول: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه..﴾**
وكذلك دعاء الموتى من

(٢٤) متفق عليه.

الأنبياء والصالحين أو غيرهم، للشفاعة أو للتخليص من الشدائد.. والله يقول: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلاً ما تذكرون..﴾

وبعضهم يستعين بذكر اسم الشيخ أو الولي دائماً.. إن قام وإن قعد.. وكلما وقع في ورطة أو مصيبة أو كربة.. فهذا يقول: يا محمد.. وذاك يقول: يا علي.. أو يا حسين.. ويابدوي.. ويا جيلاني.. ويا شاذلي.. ويا رفاعي.. وهذا يدعو العيدروس.. وذلك يدعو السيدة زينب.. وابن علوان.. والله يقول: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين..﴾

وبعض عباد القبور يطوفون بها.. ويستلمون أركانها.. ويتمسحون بها.. ويقبلون أعتابها.. ويسجدون لها.. ويقفون أمامها خاشعين سائلين حاجاتهم.. من شفاء مريض.. أو حصول ولد.. أو تيسير حاجة.. وربما نادى الزائر صاحب القبر: يا سيدي! جئتك من بلد بعيد فلا تخيبني.. والله يقول: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون..﴾ وقال ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»[٢٥]. وبعضهم يحلقون رءوسهم عند القبور..

وبعضهم يؤلف كتباً تحث على هذا الشرك مثل: مناسك حج المشاهد، ويقصدون بالمشاهد القبور وأضرحة الأولياء.. وبعضهم يعتقد أن الأولياء يتصرفون في الكون وأنهم يضرون وينفعون.. والله يقول: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم..﴾

ولا تجوز الصلاة في المسجد إذا كان فيه - أو في ساحته أو قبلته - قبر، لقوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢٦].. وقوله ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»[٢٧].

ومن مظاهر الشرك:

الذبح لغير الله: والله يقول ﴿فصل لربك وانحر..﴾ أي انحر لله وعلى اسم الله.. وقال ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»[٢٨].

وقد يجتمع في الذبيحة محرمان وهما:

- الذبح لغير الله: كمن يذبح متقرباً إلى غير الله (كصاحب قبر يتقرب إليه، أو يذبح للجن لكف شرهم، أو غير ذلك)..

- والذبح على غير اسم الله: كمن يذكر اسم غير الله عند الذبح (كاسم ولي أو شيخ).. وكلاهما مانع للأكل منها..

---

(٢٥) رواه البخاري.
(٢٦) متفق عليه.
(٢٧) رواه مسلم.
(٢٨) رواه مسلم.

وكذلك من الشرك: النذر لغير الله.. كما يفعل الذين ينذرون الشموع والأنوار والصدقات لأصحاب القبور..

ومن أنواع الشرك المنتشرة: السحر والكهانة والعرافة..

أما السحر فإنه من الكبائر.. ويفضي إلى الكفر، وهو يضر ولا ينفع.. قال تعالى عن تعلمه: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر..﴾ والذي يستعمل السحر كافر عند أكثر العلماء.. قال تعالى: ﴿إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى..﴾

أما الكاهن والعراف فكلاهما كافر بالله العظيم إذا ادّعيا معرفة الغيب.. والله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله..﴾

وكثير من هؤلاء يستغفل السذج لأخذ أموالهم.. ويستعملون طرقاً لاكتشاف الغيب كتخطيط الرمل أو قراءة الكف والفنجان أو غير ذلك.. وإذا صدقوا مرة كذبوا تسعاً وتسعين مرة.. ولكن المغفلين لا يتذكرون إلا المرة التي صدق فيها هؤلاء الأفاكون، فيذهبون إليهم لمعرفة المستقبل والسعادة والشقاوة في زواج أو تجارة والبحث عن المفقودات ونحو ذلك.

وحكم الذي يذهب إليهم:

- إن كان مصدقاً بما يقولون فهو كافر.. لقوله ﷺ: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بمايقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»(٢٩)..

- أما إن كان الذي يذهب إليهم غير مصدق بأنهم يعلمون الغيب ولكنه يذهب للتجربة ونحوها.. فإنه لا يكفر لكنه يكون مرتكبا لذنب كبير ولا تقبل له صلاة أربعين يوما.. لقوله ﷺ: «من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة اربعين ليلة»(٣٠).. هذا مع وجوب الصلاة والتوبة.



ومن ذلك اللجوء إلى أبراج الحظ في الجرائد والمجلات.. فإن اعتقد تأثير النجوم والأفلاك في الكون فهو مشرك.. وإن قرأها للتسلية فهو آثم، لأنه لا يجوز التسلي بقراءة الشرك.. بالإضافة لما قد يلقي الشيطان في نفسه من الاعتقاد بها فتكون وسيلة للشرك.

---

(٢٩) رواه الإمام أحمد وهو صحيح.

(٣٠) رواه مسلم.

ومن الشرك الأصغر وقد يتحول إلى أكبر:
استعمال التمائم والخرز والحلق المعدنية.. وتعليقها في رقاب الأولاد أو غيرهم لدفع العين.. أو يربطونها على أجسادهم.. أو يعلقونها في سياراتهم وبيوتهم.. أو يلبسون خواتم يعتقدون فيها رفع البلاء أو دفعه..
وكل ما تقدم حرام لقوله ﷺ: «من علق تميمة فقد أشرك»[٣١]، وفاعل ذلك إن اعتقد أن هذه الأشياء تنفع أو تضر من دون الله فهو مشرك شركاً أكبر.. وإن اعتقد أنها سبب للنفع أو الضرر.. فهو مشرك شركاً أصغر.. لأن الله لم يجعلها سبباً.
وكذلك الحلف بغير الله:
فلا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله.. لأن الحلف تعظيم لا يليق إلا بالله.. قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[٣٢].
فلا يجوز الحلف بالكعبة، ولا بالأمانة، ولا بالشرف، ولا بحياة فلان، ولا بجاه النبي ﷺ، ولا بجاه الولي، ولا بالآباء والأمهات.. كل ذلك حرام..
ومن وقع في شيء من هذا فكفارته أن يقول: لا إله إلا الله.. كما جاء في الحديث الصحيح: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى.. فليقل: لا إله إلا الله»[٣٣].
ومما يفضي إلى الشرك أيضاً.. الألفاظ المحرمة كأن يقول:
أعوذ بالله وبك.. هذا من الله ومنك.. ما لي إلا الله وأنت.. والصواب الإتيان بـ (ثم) في ذلك فيقول: أنا بالله ثم بك.. وكذلك في سائر الألفاظ..
وكذلك كل عبارة فيها سب الدهر مثل: هذا زمان سوء.. وهذه ساعة نحس.. والزمن غدار ونحو ذلك.. وذلك لأن سب الدهر يرجع على خالق الدهر.. وهو الله عز وجل..
كما ينبغي على المسلم والمسلمة أن يحذرا من الابتداع في الدين.. ومن ذلك الاحتفالات البدعية كالاحتفال بالمولد النبوي.. أو الاحتفال بليلة ٢٧ من رمضان.. والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج.. أو غير ذلك..[٣٤].
أسأل الله أن يحفظك ويوفقك.. وأن يصفي عقيدتنا من شوائب الشرك.. آمين..
وختاماً: أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الكريمة.. هذه وصايا استخرجتها لك من مكنون نصحي.. سكبت فيها روحي.. وصدقتك فيها النصح والتوجيه.. فلا يكن نصيبي منك أقل من دعوة لي بظهر الغيب تستنزل بها الرحمات لي ولك من أرحم الراحمين.
والله تعالى أعلم.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد..

---

(٣١) رواه الإمام أحمد وهو صحيح.
(٣٢) رواه أحمد وهو صحيح.
(٣٣) رواه البخاري.
(٣٤) ذكرت هنا هذه التنبيهات مختصرة على أمور مهمة في العقيدة، وذلك لأنني أهمّ بإصدار كتاب كهذا الكتاب ينبه على المظاهر الشركية الواقعة في الأمة، وما ذكرته هنا إشارات هامة فقط.

٢ ريال

هذا الكتاب هو رسالة إليه .. وإليها

ودعوة له.. ولها.. فكما أنه حريص على الخير .. فهي حريصة عليه أيضا.. وقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات بالتسابق إلى الخيرات.. ووعدهم على ذلك بالجنات.. وهذا الكتاب.. محاولة لبيان الطريق إلى تلك الجنات..

فيه عبر وهمسات .. للتائبين والتائبات.. عبرة بخبر شاب صارعته الأمراض.. وأخرى بقصة فتاة ولغت في الملذات.. وأخبار عن المتعلقين بالشهوات.. ووقفة مع المغترين ب (الخنفشاريين).. ونصح لمن شابه المشركين..

وكلمات حول قيام الليل والإكثار من الذكر.. وهمسات حول العشق وغض البصر.. ولمحة حول بر الوالدين.. واشارة بأهمية الدعوة ونشر الدين..

هي كلمات تنتفع بها الفتيات.. في المجالس والمدارس والكليات..

وينتفع بها الشباب .. في المدارس والجامعات.. أسأل الله أن يجعلها رسالة من القلب إلى القلب.. وأن يصفيها من درن الرياء والسمعة.. وأن ينفع بها.. ويجعلها سبب هداية لمن قرأها..

آمين .. آمين ..

كتبه/ د. محمد بن عبدالرحمن العريفي

ص.ب ١٥١٥٩٧ - الرياض ١١٧٧٥

Arefy@hotmail.com

١٠٠ نسخة ١٤٠ ريال

طبع هذا الكتاب طباعة خيرية، بسعر خيري، فأحث إخواني وأخواتي على نشره، وإقامة المسابقات فيه في المدارس والأحياء، وأسأل الله أن لا يحرمنا جميعاً الأجر والثواب.

للتوزيع الخيري

هاتف ٠٥٥٤٩٨٤٩٥ - ٠٥٥٤١٣٣٥٨

من خارج المملكة ٠٠٩٦٦/٠٥٥٤٩٨٤٩٥ - ٠٠٩٦٦/٠٥٥٤١٣٣٥٨

ص.ب ٩١٣٦٦ - الرياض ١١٦٣٣

لطلب الكميات من خارج مدينة الرياض الإيداع في الحساب رقم ١١٦٣٣/٥ ورقم الفرع ٢٨٨ شركة الراجحي المصرفية، باسم / فهد الحميد، مع وضع الاسم ورقم الهاتف والمدينة والكمية على صورة الإيداع وإرسالها على فاكس رقم ٠١/٢٤٩٠٣٦٦ ليتم الإرسال.

رقم الإيداع: ٢٢/٢٨٥٢

ردمك: ٩٩٦٠-٣٩-٥٣٦-٧

مطابع الجمعة الالكترونية - هاتف ٤٩٥٥٤٤٤ / ٤٩٥٣٨١٠